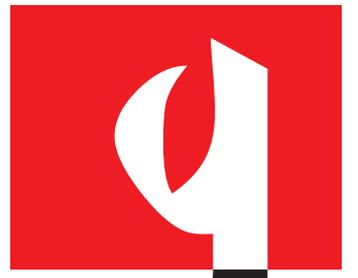




سالم عبيد النعمان



دراية

من زمن التوهج

يون



رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2451) السنة التاسعة
الخميس (12) نيسان 2012

2

فقيه القانون... ورجل
السياسة



رحيل رمز متألق من زمن التوجه: سالم عبید النعمان وطني تماهى مع الحلم..

فخري كريم

لأن الحكم الملكي المؤسس بإرادة الانتداب البريطاني على قاعدة طائفية تلغي المواطنة الحرة المتساوية، اختلطت الانتماءات الفكرية والسياسية من وجهة نظر النظام الملكي فأفردت مادة واحدة لملاحقة جميع الأحزاب والتنظيمات والقوى الوطنية ونشاطاتها السياسية والنقابية والصحفية تحت تهمة «مكافحة الشيوعية» دون أن تميز آنذاك بين معتقل منتم للحزب الوطني الديمقراطي أو حزب الاستقلال أو الحزب الشيوعي، دون استثناء البعثيين. لكن التمييز كان يطاول أساليب التعذيب التي تمارس ضد كل فئة أو شدة الاعتقال أو مدة الحكم والسجون التي تخصص لها.

وقد فهم الإنكليز وأعوانهم من رهط نوري السعيد وبهجة العطية أن العراقيين موحدون في مواجعتهم، لا تفرقهم العصبية المذهبية كما العشائرية والدينية والقومية، يجمعهم الكفاح المشترك في سبيل الانعتاق والتحرر الوطني والتطور الاجتماعي والاقتصادي والتوق لبناء نظام ديمقراطي ودولة مدنية مؤسسية.

في تلك المرحلة النضالية المجيدة من تاريخ العراق، كانت مدن «عنه» و«هيت» و«راوه» وحديثه «مراكز إشعاع سياسي وفكري، مدت الحركة الوطنية بكل روافدها بكوادر بارزة، أصبحت علامات مضيئة على طريق النضال الوطني والديمقراطي، واحتلت مواقع قيادية في الأحزاب والنقابات والمنظمات الاجتماعية والثقافية وفي حركة السلام وغيرها من الأطر التي كان لها دور فاعل في إنهاء الحكم الملكي وفي المراحل التي تبعتها.

ومن مشهد تلك الأيام الخالدة، تطل علينا أسماء ملأت دينايا بقيم الوطنية الحققة والمبادئ الإنسانية التي تجاوزت كل العصبية والانتماءات الثانوية، ولم تكن لتلك الأسماء معان أو رموز طائفية أو ما يشوب هويتها الوطنية، بل لم يكن في التقاليد المتعارفة التساؤل عن ذلك أو الاهتمام بتعريف تلك الرموز بأصولها الثانوية. كما لم يكن خارج السياق تقديم شخصية سياسية من المدن الغربية «سني» بالتعريف الدارج اليوم، انتخابيا في كربلاء أو النجف، والعكس صحيح أيضاً، أو شخصيات كردية من المدن الكردستانية في المحافظات العربية.

في تلك الأيام التي كان أشباه الرجال «فيها يصطفون مع النظام الملكي ويغذون نعراته المذمومة، كما يفعل أحفادهم اليوم من مروجي النعرات الطائفية والمذهبية والعشائرية والمناطقية، كان «العيب» أن تدعي أي انتماء غير الانتماء إلى الحركة الوطنية والانحياز إلى

شعاراتها الديمقراطية وولائها للتحرر والتقدم والقيم الإنسانية الرفيعة. في زمن الوطنية والقيم الإنسانية، برز اسم سالم عبید النعمان من عائلة متوسطة، عرفت بوطنيتها في مدينة عنه، ومن تلك المدينة انتقل مع أسماء لأمعة في سماء الحركة الوطنية إلى بغداد، وبالمصادفة أو الميل إلى ميدان يتسم بالدفاع عن العدالة المقفودة انضم إلى كلية الحقوق، كما فعل عزيز شريف وعامر عبد الله وتوفيق منير وعبد الرحيم شريف أبناء مدينته، والتقى مع أبناء آخرين للمدينة في إطار الحركة الوطنية، ثابت حبيب العاني وعزيز الشيخ وشريف الشيخ والعشرات من الشخصيات المؤثرة التي أفرزتهم مدن لواء الدليم «الأنبار» تتلألاً بينهم نزيهة الدليمي مؤسسه الحركة النسائية العراقية وأول امرأة استوزرت في العالم العربي.

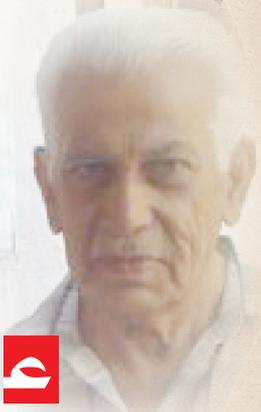
انضم سالم عبید النعمان في وقت مبكر من حياته إلى الحزب الشيوعي العراقي، وزامل الشهداء فهد وحازم وصارم في سجنهم الذي انتهى بهم إلى الإعدام، ومنذ ذاك الحين لم يتراجع عن المثل والقيم التي تعلمها من انتماؤه، فظل وفيًا لها مشدوداً إلى نماذجها حتى اللحظة الأخيرة من حياته. ورغم بلوغه التسعين بقي نور اليقين الإنساني متوهجاً في كيانه يرى الأشياء والأحداث بمنظرها، لا يحيد عنها أو يتسلل الشك إلى يقينه وإيمانه بالإنسان كقيمة لا تسمو عليها أي قيمة أخرى.

في سنوات المواجهة والقتل على الهوية، بقي محجوراً في بيته مع أبنائه وأفراد عائلته الذين تخلقوا بقيمه، دون أن يرف له جفن أو يتسلل الخوف إلى قلبه، بل كان مهموماً وقلقاً على الناس الذين يطاولهم الموت دون ذنب أو حتى انتماء سياسي سوى الهوية المذهبية.

كان سالم عبید النعمان ابن «عنه» غريباً عن أولئك الذين يبتشرون بالانتماء الفرعي المذهبي، ويرى في ذلك انحذاراً وانحطاطاً وانسلاخاً عن الكينونة الإنسانية الرفيعة. ورغم الحجز الاحترازي في بيته تجنباً للتعرض لخطر التكفيريين وأعباء السنين التي أرهقت كاهله المتعب، وهو الذي ذاق مرارة السجن والتعديبات والملاحقات، فقد بقيت ذاكرته متوقدة أنتجت وهو على مشارف التسعين كتابين تاريخيين تسجيليين، يضعان أمام هذا الجيل الغائب عن أنوار المراحل الوطنية التأسيسية ومضات فكره وقيمه وعطائه الوطني النير، التي تعكس أفكار وقيم ذلك الزمان الذي خلق بتضحيات أبنائه إمكانات الانفتاح على الأمل بعالم جديد تسوده العدالة الاجتماعية والمساواة والرفاه والحرية. عالم تغيب منه كل الترهات التي أنتجتها وتعيد إنتاجها كل يوم ممالك الطوائف ومروجو مسلسلات الأزمات والفتن الطائفية ويلتاع في أتون صراعاتها على نهب المال العام والإفقار وإشاعة قيم التحريم وتابوات التخلف والفساد ملايين العراقيين من كل الطوائف والملل.

رحل سالم عبید النعمان دون أن ينسى تأكيد هويته الوطنية، في زمن سيادة الهويات الفرعية المقيتة، وهو على فراش الموت ليوصي أبناء البررة بدفته في كردستان، كإعلان عن ترسيخ ملامح هويته الوطنية المتعالية على النزعات الموغلة في التجني.. برحيله لن تنطفئ روح ذلك العصر الوطني المهيب.. بل ترتقي بنا قيم ذلك العصر إلى عالم منسود إنساني الومضات، لتظل مناراتها تهدي أجيالاً أكثر مضياء وتحدياً وتمسكاً بالجمال والحقيقة والعدالة.. وداعاً أيها الطيف الآتي من زمن الحلم والأمل والوعد الذي لا يترجع..

سالم عبید النعمان فقيه القانون ورجل السياسة



عبد الحميد الرشودي

باحث ومؤرخ

بالدرة الاولى الى اسباب وعوامل اقتصادية وسوء توزيع الثروة وعدم اتاحة الفرص المتكافئة امام المواطنين مما جعل الثروة تتركز في ايد قليلة وان يكون نصيب الاكثريه الحرمان وشظف العيش والامراض التي بسببها سوء التغذية: كم قم تطعمه الف يد ويد بلقمها الف قم ثم جاء بعد ذلك دور الطليعة الثانية ابان الاربعينات متمثلة بسالم عبید النعمان وشريف الشيخ وعامر عبد الله وعبد الرحم شريف وواصلوا ما بدأت به الطليعة الاولى.

اسماء اخرى

على ان هذا لا يعني ان ابناء عنة اقتصرنا على هذا الاتجاه بل هناك اسماء اخرى لمعت في ميادين القانون والشريعة والاقتصاد والدبلوماسية والطب اذكر منهم على سبيل التمثيل ولا التحصيل..

١- منير القاضي عميد الحقوقيين لاجيال عدة واستاذ الشريعة الاسلامية وشراح مجلة الاحكام العدلية والقانون المدني رقم ٤ لسنة ١٩٥١ الذي سماه ملقني البحرين - اي الفقه الاسلامي والفقه العربي.

٢- عبد الرحمن البزاز - وهو من قرية المعاصيد - عميد كلية الحقوق وقد بذل جهودا عظيمة لاصلاحها واعادة اعمارها كما تولى رئاسة الوزراء وكان منهاجه هو اعادة الوجه المدني للحكم واجراء انتخابات وسن الدستور الدائم ولكن الاطماع والانانيات لبعض الساسة المرتزقة استمرروا به حتى اضطروه الى الاستقالة ففوتوا بذلك فرصة العمر على الشعر العراقي الذي لم ينعم بالراحة والاستقرار بعده.

٣- حامد مصطفى: خريج السوربون والاستاذ في كلية الحقوق ورئيس ديوان التدوين القانوني.

٤- هاشم جواد (الواقاتي) وزير الخارجية الذي قتل ظلما وعدوانا في بيروت وكان خبيرا دوليا في شؤون العمل والعمال.

٥- شفيق العاني: رئيس محكمة التمييز.

٦- الدكتور عبدا لرزاق عبد الوهاب: رئيس محكمة التمييز.

نعت ابناء اربيل يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شباط ٢٠١٢ رحيل الاستاذ المفكر فقيه القانون سالم عبید النعمان فعز ذلك على عارفي فضله من الاصدقاء والزلاء لما كان يتمتع به الراحل الكريم من خلق رضي وعلم غزير يشهد له بذلك كل من قدر له ان يصحبه او يحضر مجلسه ايام الجمع التي كانت تتجدد به الوحدة الوطنية باحلى صورة واسمى معانيها فلا غرو ان ترى في مجلسه الناس من مختلف الطبقات تباين الاتجاهات فترى فيهم من اقصى اليمين الى اقصى اليسار وقد جلسوا يصغون الى رب المجلس ويتناقشون بمختلف الموضوعات دون الغاء لشخص الاخر وكانهم اخوان على سرر متقابلون يتبادلون الاحترام والتقدير وذلك بفضل الاستاذ ابي غانم الذي زرع المودة والاحترام بين الجميع وخفف شافة العداوة وابغضاء من نفوسهم.

ولد الفقيه العزيز في مدينة عنه سنة ١٩٢٣ في اسرة ميسورة الحال تعرف بيت قزان وكان منذ طفولته تبدو عليه مخايل النجابة والنكاه وحين شب على الطوق التحق بمدرسة عنة الابتدائية وكانت المدرسة الوحيدة يومذاك في مدينة عنه فاقبل على دروسها بشغف ونهم شأنه شان الغابية من ابناء تلك المدينة التي ان اجديت ارضها وجف ضرعها وقل رزقها فقد عوضها الله بان جعلها خصبة بابنائها غنية برجالاتها الذين عرفوا بالذكاء الفطري واعتدال المزاج وصحة الابدان وصباحة الوجه لذا نجد ان هذه المدينة التي تغفو على ضفة الفرات اليمنى وبين الجبل قد ضاقت بطموح ابناءها وتطلعاتهم فانداحت موجات منهم ينشدون مدينة ارحب واوسع لتحقيق طموحاتهم في مواصلة الدرس والتماس فرص عمل جديدة لم تكن تتوفر في مدينتهم الصغيرة المهمة النائية عن العاصمة وكانت الطليعة الاولى من هؤلاء الواقدين عبد الفتاح اراهيم وعزيز شريف وتوفيق منير الذين كان لهم دون ريادي في الدعوة الى النظرية الاشتراكية العلمية وتحرير الفكر من الاوهام والخرافات التي نسجتها عصور الظلم والظلام فقد ادركت هذه النخبة المستنيرة ان سبب تخلف البلاد وشقاء العباد يعود

المواقف المشرفة والمشرفة ما حدثنا به في ص ٣١٢ من كتابه "نصف قرن من تاريخ وطن" وهو عرض موجز لتاريخ الحركة الوطنية العراقية (١٩٠٠ - ١٩٥٨) قال في ص ٣١٢ - (٣١٢) وجدت قيادة الحزب الشيوعي ان ارباب وزارة ارشد العمري وسماح وزارته بانزال قوات بريطانية في البصرة مسألة لا يمكن السكون عليها. فدعا الحزب في اجتماع شبه مغلق بين عدد محدود جدا من المسؤولين .. واذكر انني دعيت الى مقر الحزب حيث فهد وزكي محمد بسيم للتخضير للقيام بتظاهرة حدد لها يوم ٩ ايلول اخذ الرفيق فهد علي على اسماء الاعضاء والمؤيدين الذين سيحضرون معتمداً على تقارير بعض المسؤولين المهمين في حزبي الشيوعي والتحرر يقود النعمان واذكر انني قد توقفت عن تسجيل عدد من سيحضرون من عمال السكك على سبيل المثال ابدى فهد استغرابه لماذا توقفت قلت له بالنص: " ما يكون لي ان اتوقف عن بعض الارقام المبالغ فيها لو لم اكن مسؤولاً عن تنفيذ هذه التظاهرة واتحمل مسؤولية ما سيحدث عن قيامها" وبعد نقاش تدخل الرفيق زكي بسيم فيه فقد جرت تسوية في تقليص بعض الارقام وانزال بعضها خصوصاً عدد عمال السكك الذين ذكر الرفيق فهد ان الارقام التي بين يديه الف ومئة شخص خفضها الى ٣٠٠ شخص وانني قد علقت على الرقم المبالغ فيه وحتى على ٣٠٠ شخص وقلت ان الذين سيخرجون الى تظاهرة يمكن ان يكونوا عمالاً مضربين عن العمل مطالبين برفع اجورهم اما ان يخرجون في مظاهرة فيها ما فيها من صراعات مع الشركة وتوقيف البعض فهو امر مختلف وارى ان العدد الذي سيشارك في التظاهرة قليل جداً اذا قورن بالرقم المبالغ فيه.

٣- قيادي ذكي يقدر المواقف ويستبقي النتائج قبل وقوعها: ويحدثنا النعمان في ص ٣١٤ من كتابه "نصف قرن من تاريخ وطن" فيقول: وكانت آخر محاولة لقيام تظاهرة هي تلك التي تقرر ان تسير قرب سينما الزوراء في محلة المربعة وقيل ان تصدر امراً بتحريك التظاهرة وجدت ان الشرطة المحتشدة يكاد يقارب عددها عدد المتظاهرين فاسرعت فوراً للاتصال بعدد من مسؤولي مسيرة التظاهرة ومنهم علي شكر وجاسم حمودي وحمزة سلمان وعبد اللطيف السعدي وكاظم الحسيني واخرين فاخبرتهم بواقع الحال وسألني اقدمهم ما رأيكم قلت ان تحركنا سيلقي القبض على اكثر من نصف المتظاهرين وهذه مغامرة وتفريط بحزبنا وتم بالاتفاق تأجيل المظاهرة وقد استحسن فهد موقفاً وقال: نحن نرسل مسؤولين يعرفون واجبه وليسوا موزعي بريد.

٤- فكر ناضج ورأي حر: وعندما قابلته حنا بطاطو سأله عن رأيه في مشاركة الحزب الوطني في وزارة نوري السعيد التاسعة ممثلاً بعضو محمد حديد وزيراً للتموين اجابه النعمان بان نوري السعيد عنده خطة ثابتة لايجيد عنها وانه استفاد من مشاركة الحزب الوطني وبالقدر الذي عاد به ذلك الاشتراك على الحزب الوطني الديمقراطي من اضرار.

محام من السادة آل كمال الدين بانه سيسافر يوم الجمعة الى مدينة النجف ودعاني ان اصحبه اذا كنت راغباً في السفر للاطلاع على معالم المدينة وزيارة بعض رجالها فوافقت على ذلك ولما اذف يوم السفر اتجهنا الى المدينة وتجولنا في اسواقها وشوارعها واطلعنا على معالمها التاريخية ثم قال لي هل لك في زيارة السيد المجتهد الفلاني قلت له هذه فرصة لا تفوت فقصداً داره ودخلنا حجرته فوجدناه جالساً ارضاً - معادة المشايخ فقدمني اليه بقوله الأستاذ سالم عبيد النعمان قاضي محكمة بداءة الحلة وما ان سمع بعنوان وظيفي حتى وجه الكلام الي معاتباً وقال كيف تسوغون لانفسكم مصادرة اموال الناس والاستيلاء على اربابهم بغير مسوغ شرعي فقلت له بهدوء ان هذا لا يعد مصادرة ولا استيلاء وانما هو اعادة اموال واراضي موصوبة الى اصحابها الشرعيين فقال كيف ذلك؟

قلت لان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عندما فتح ارض السواد في العراق حذر على الفاتحين ان يملكوا شبراً واحداً منها وقال ترك الارض بيد اصحابها ويفرض عليهم الخراج ونقبة ارض ملكا لبيت مال المسلمين. ولكن بعد ان ضعف الازرع الديني عند خلفاء بني العباس اخذوا يتالفون الاشخاص فمحوهم الاراضي الواسعة وهو تصرف غير شرعي لانهم ذهبوا مالا يملكون وفاقد الشيء لا يعطيه ثم جاء العهد العثماني فزاد في الطين بلة واخذ يقطع الاقطاعات الكبيرة لشيوخ الجنوب والكوخت واعوان الشمال فصار الاقطاعيون قوة ضاربة ولما تأسست الدولة العراقية الحديثة سارت في نفس هذا المنحى الخاطئ فاصدرت قانون نسوية حقوق الاراضي رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٢ وعززته بقانون منح اللزمة رقم ٥١ لسنة ١٩٣٢ ثم جاء قانون حقوق للزراع فرسخ اقدم الاقطاعيين وجعل الفلاح قنا تابعاً للارض وصار الاقطاعي يملك الارض ومن عليها وما عليها من بشر وبقر وشجر وصار الاقطاعيون دولة داخل الدولة لهم كلمتهم النافذة ولهم سجونهم الخاصة وطالما اعلنوا عصيانهم واقلقوا الحكومات المتعاقبة بتمردهم ولما جاءت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ارادت ان تزيل المظالم التي لحقت بالفلاحين واعادة حقوقهم اليهم ووجد قانون الاصلاح الزراعي رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٨ الحد الاعلى للملكية الزراعية ب (١٠٠٠) دونم للارض التي تسقى سيما و (٢٠٠٠) دونم للارض التي تسقى ديمة ونزع ما زاد على ذلك لقاء تعويض عادل ثم ان تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة امر قال به الفقهاء وقد اكد ذلك الشيخ ابو جعفر الطوسي شيخ الطائفة ومؤسس اول حوزة علمية في النجف في كتابه الخلاف وهنا سكن الرجل ولم ينبس سنة شفة.

مواقف مشرفة في مسيرة سالم النعمان النضالية:

١- سعة اطلاعه وطول باعه في المذاهب الفقهية

حدثني رحمه الله وطيب ذكراه قال كنت قاضياً في الحلة وقد عرض علي

الي ان اراجعه وادققه لغويًا ففقت بهذا التكليف الذي اعده تشريفًا وقد كان من كرم خلقه وحمد سجاياه ان يخصني بمقدمة الكتاب بالشكر وان يصفني على صفات لا اراني اهلا لبعضها فكيف بكلها انها المروءة والارحية اللتين عرف بهما الراحل الكريم.. هذه بعض الملحاحات عن مسيرة هذا الرجل العصامي الذي انبثت تلك المدينة الحدودية النائية كما انبثت اجيالا من امثاله وعزرا للقارئ الكريم فان هناك من المواقف المشرفة في سيرة هذا الرجل ما تضيق به صفحات جريدة يومية وحتى ان نتيج لنا الايام فرصة لنوفي هذا الرجل بعض حقه فان الكثير من حقه قليل.. وان هناك جوانب من مسيرته كممارسة الحمامة وسجنه وتولي القضاء في بعض محافظات العراق وقد توج ذلك باختياره عضواً في محكمة التمييز وقد اخبرني انه طالما اعترض على كثير من قرارات المحكمة ولما كانت العادة ان يقدم العضو المخالف اعتراضه مسبباً معللاً يقول (وقد عادت المحكمة الى كثير من اعتراضاته واخذت بها لما وجدت فيها من الصحة والسداد وصواب الرأي واصالته مما هو معروف به ومشهود له). تغمذ الله الفقيد برحمته والهه واهله وانجاله الكرام الدكاترة، غانم وبيان وسعد جميل الصبر والعزاء.

١- سعة اطلاعه وطول باعه في المذاهب الفقهية

حدثني رحمه الله وطيب ذكراه قال كنت قاضياً في الحلة وقد عرض علي

والناطق الرسمي باسمه والحقيقة ان الحزب الشيوعي العراقي اراد ان يتخذ من حزب التحرر الوطني واجه يتستر خلفها. كما ان هذا الحزب غير المجازف قد اتخذ من عصابة مكافحة الصهيونية واجهة فكان يتحرك من خلال اجتماعاتها الاسبوعية التي كانت تعدها في مقرها قريبا من السفارة الايرانية في كراة مريم وقد اصدرت جريدة باسم العصابة كان مديرها المسؤول المحامي محمد حسين ابو العيس والتي صدر عددها الاول يوم الاحد ٧ نيسان ١٩٤٦ وكان سالم عبيد النعمان من الخطباء الناشطين فيها. وقد كان يحضر اجتماعاتها من الذين رايتهم حسين محمد الشيبيني ومحمد حسين ابو العيس ويهودا صديق الذي كان مدرس الجبر في متوسطة الكرخ سنة ١٩٤٦ وكان عندما يدخل يستقبل بعاصفة من التصفيق والهتافات وربما كان زكي الشيبيني بسيم من الذين يحضرون الا اني لم يسبق لي ان رايتهم لاشخصه لقد عرفت سالم النعمان من خلال اجتماعات العصابة ولكن لم تقم ببني وبيته معرفة الا عام ١٩٨٢ في دار المرحوم باهر فائق في المنصور والذي كان يضم نخبة من الاطباء والقضاة والمحامين والدبلوماسيين وكان سالم النعمان من المواظبين على الحضور صباح كل ثلاثة من الاسبوع فتوطدت بيننا المودة والاحترام واخذت ازوره في داره في حي العدل كما كان يزورني في داري في حي الاندلس الى ان انتقل الى اربيل طلباً للاستجمام والاستشفاء وعلى حين كنا ننتظر عودته الى بغداد وحين شرع بتدوين كتابه (الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد) طلب

٧- كما انبثت هذه المدينة الولود عالم الاقتصاد الدكتور محمد سلمان حسن صاحب المؤلفات العديدة في الاقتصاد والتنمية واشهرها اطروحته (التطور الاقتصادي في العراق).

٨- وهناك نخبة من الابداء والشعراء منهم رائد القصة العراقية محمود احمد السيد (ابن عم عبد الفتاح ابراهيم وابن عمه عبد القادر اسماعيل) والشاعر الاستقلالي عبد الرحمن البناء.

٩- ولم يكن حظ ابناء هذه المدينة من الاطباء بالقليل فقد برز منهم الدكتور يوسف العاني والدكتور حميد العاني والدكتور محمد صالح العاني والدكتور عبد الكريم الخليل.

ولعمل من غرائب الاتفاق ان ثلاثة من ابناء هذه المدينة كانوا وراء تأسيس اول جماعة سياسية تقدمية كان لها اثرها وخطرهما في الحركة الديمقراطية في العراق المعاصر هم عبد الفتاح ابراهيم وعزيز شريف وحسين جميل الذي اسسوا جماعة الاهالي وكتبوا منهاجها السياسي في الشعبية واصدروا جريدة الاهالي ناطقة باسم الجماعة والتي صارت فيما بعد مدرسة تعرف بمدرسة الاهالي.

حدثني المرحوم سالم عبيد العاني قائلاً (ولما لم تكن في عنة مدرسة متوسطة فقد شددت الرحال الى بغداد وقيلت في مدرسة متوسطة الكرخ وكان النظام المعمول به ان يدخل الطلاب الوافدين من خارج بغداد في القسم الداخلي ولما تعذر ادخال هؤلاء الطلاب في القسم الداخلي خصصوا لكل واحد منا مبلغاً شهرياً يغطي حاجتنا الى المأكل والمسكن). ثم يمضي - رحمه الله - ويذكر انه عندما انهى الدراسة المتوسطة في الكرخ التحق بالثانوية المركزية فتخرج منها سنة ١٩٤١ ثم تقدم بطلب الى كلية الحقوق ومضى في دراسته حتى تخرج منها سنة ١٩٤٥ وانتسب الى نقابة المحامين ومارس المحاماة في بغداد وعنة كلية الحقوق

وقد ذكر لي انه اثناء دراسته في كلية الحقوق اتصل ببعض زملائه من حملة الافكار اليسارية التقدمية فزينا له الانتماء الى الحزب الشيوعي العراقي مقبل عضواً فيه وكان يومئذ طالباً في الصف الثاني من الكلية فانغمس في صفوف الحركات الوطنية التقدمية وكانت الحكومة في اوائل الاربعينات قد ارحت قبضتها وغضت بصرها عن تحركات الشيوعيين بعد ان انضم الاتحاد السوفيتي الى جبهة الحلفاء التي كانوا يسمونها معسكر السلم والديمقراطية ضد دول المحور وبعد ان وضعت الحرب العالمية اوزارها تالفت وزارة توفيق السويدي الثانية (من ٢٣ شباط الى ٣٠ مايس ١٩٤٦) كان في منهاجها اعادة الحياة الدستورية للبلاد واعادة اجازة الاحزاب السياسية فاجازت وزارة الداخلية بتاريخ ٢٠ نيسان/ ١٩٤٦ خمسة احزاب هي حزب الاستقلال وحزب الاحرار والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني.

وذكر لي الاستاذ سالم انهم قد تقدموا بطلب اجازة باسم حزب التحرر الوطني وانه كان يراجع العاملة وقابل وزير الداخلية يومئذ سعد صالح لكنه لم يوافق على اجازة هذا الحزب الذي كان سالم النعمان سكرتيره



تاريخ وطن وآمال شعب

سجاد حسن محي



د. بيان النعمان مع محرر المدى

بعدها حكومة قمعية بوليسية برئاسة أرشد العمري، فشنت هجوما شرسا على كوادر الحزب الشيوعي وحزب التحرر الوطني، وتم في يوم أسود اعتقال القياديين وعلى رأسهم فهد وزكي بسيم وحسين الشبيبي ووالدي، وذلك في سنة ١٩٤٧.

أيام المعتقل... صلابة في مواجهة الجلاد

ويواصل بيان: تم وضع الشيوعيين في سجن الكوت بادئ الأمر، وحكم على فهد وزكي بسيم وحسين الشبيبي بالإعدام ولكن هذا الحكم جمد مدة من الزمن، وخلال هذه الفترة كان فهد ينظم حياة السجناء يعاونه في ذلك والدي، فكل شيء يسير وفق جدول معد مسبقا، إذ هناك مجموعة من السجناء يعدون الطعام ومجموعة أخرى تهتم بالجانب الثقافي، وفي نهاية اليوم يقدم والدي لفهد ملخصا لتحليل الوضع السياسي وأراء الأحزاب إلى جانب تحليله مواقف الحكومة والأحزاب حسب تطورات الوضع.

وأضاف بيان: يذكر المرحوم معاناته ورفاقه داخل المعتقل فقد كانت تمارس داخله ضغوطات نفسية عليهم أبرزها الحبس الانفرادي وكان والدي يتذكر جيدا مدى العذاب الذي لاقاه زكي بسيم لأنه كان ثاني شخص في الحزب الشيوعي ومشرفا على التنظيم بشكل مباشر إذ تم حبسه في المرحاض لأيام

ذهبية شهدها الحزب يذكرها والدي حيث كان هناك متسع من الحريات السياسية للأحزاب فتشكل حزب باسم حزب التحرر الوطني سنة ١٩٤٦ برئاسة حسين الشبيبي وال مرحوم سالم عبيد سكرتيرا للحزب، وكان من أبرز أعضائه المحامي محمد حسين أبو العيس (استشهد في سنة ١٩٦٣ في الانقلاب الأسود)، فقال الحزب شعبية كبيرة في وقت قصير لقرابه من الطبقات الكادحة والعمال وأصبح يشكل قوة في الشارع العراقي، لكنه حين تقدم بطلب الحصول على إجازة رسمية من حكومة (توفيق السويدي) رفض طلبه من قبل الحكومة لأسباب تتعلق بارتباط أعضائه بالحزب الشيوعي العراقي (حسب ادعاء الحكومة)، وبالرغم من هذا الرفض إلا أن الحزب ظل يعمل بحرية ومن دون رقابة صارمة من قبل الحكومة لحين سقوط حكومة السويدي، وجاءت

الرشيد وأسس في المكتب أيضا دار الحكمة للطباعة والنشر تقوم بطباعة الكتب الأدبية والسياسية ولكنها في الحقيقة كانت مركزا للنشاط التنظيمي للشيوعيين إذ تطبع فيه منشورات الحزب الشيوعي وتوزع بمعية الرفاق في بغداد، وكانت لها تأثيرات كبيرة في الشارع العراقي. تعرض المكتب لمهامات عديدة من قبل البوليس السياسي آنذاك واعتقل المرحوم لفترات قصيرة مع بعض الرفاق خصوصا عندما كانت تحدث تظاهرات عارمة في بغداد. كان أبو غانم المسؤول التنظيمي للشهيد سلام عادل ١٩٤٧/١٩٤٥ والتقاء بعدها مرتين بصفته صديقا، لأن الشهيد سلام عادل كان قليل الظهور بصورة علنية خشية إلقاء القبض عليه من قبل الأجهزة البوليسية القمعية. الفترة الذهبية يقول الدكتور بيان النعمان: هناك فترة

سنة ١٩٤١، وفي سنة ١٩٤٢ عندما كان طالبا في الحقوق انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي عن طريق حسين الشبيبي الذي كانت تربطه بالمرحوم علاقة وثيقة والتقى يوسف سلمان (فهد) في نفس السنة فقرّبه للحزب لما لمس فيه من ذكاء وحماسة وأسندت إليه مهمة تنظيم التظاهرات لأنه كان عارفا بشوارع ودهاليز أزقة بغداد، فكان ينظم بداية ونهاية التظاهرات، ويوجه كيفية التخلص من الشرطة في العهد الملكي، فضلا عن مرافقته فهد في زيارته للتنظيمات في بغداد والمحافظات أيضا بصورة سرية. ويذكر أن فهد أرسله إلى محافظتي الحلة والناصرية لكسب الوجود للحزب الشيوعي.

النضال السري في العهد الملكي

بعد تخرجه في كلية الحقوق سنة ١٩٤٥ فتح مكتبنا للمحاماة في شارع

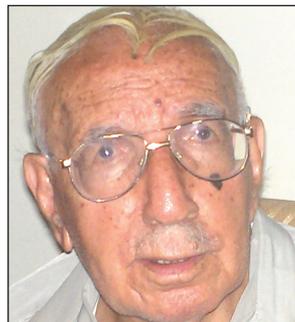
اختطف الموت من بيننا المناضل سالم عبيد النعمان، لكنه لم يستطع أن يخطف منا أفكاره وصورته وتاريخ العراق الذي أفنى حياته من أجله وآمال شعب في الحرية والحياة الكريمة.. لم يستطع أن يخطف محبة النعمان من ذاكرتنا ومن قلوبنا.

كرس حياته لخدمة قضايا شعبه المصرية مختارا طريق الكفاح سبيلا لترجمة الأفكار والنظريات إلى واقع ملموس، وكم كان حريصا على حماية رفاقه، وكم كان دقيقا في أحاديثه السياسية، وملتزما بأفكار الحزب الشيوعي العراقي. منذ ريعان شبابه أدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، لم تكن السجن والمعتقلات والملاحقات عن مواصلة كفاحه لتحقيق شعار «وطن حر وشعب سعيد».

نشأته وانضمامه للحزب الشيوعي العراقي

في أربيل التي اختارها ملاذاً أخيراً له التقينا ابنه الدكتور بيان (المرحوم ثلاثة أبناء وبنات واحدة: غانم طبيب الهندسة وأستاذ جامعي، وسعد طبيب أطفال، وابنته شروق).

ولد أبو غانم في بلدة عانة بالرمادي سنة ١٩٢٣ من أسرة تتمتع بتجارة الأقمشة، أكمل الدراسة الابتدائية في عانة وسافر إلى بغداد ليكمل الدراسة في متوسطة الكرخ والإعدادية في الثانوية المركزية ثم دخل كلية الحقوق



ولد أبو غانم في بلدة عانة بالرمادي سنة 1923 من أسرة تتمتع بتجارة الأقمشة، أكمل الدراسة الابتدائية في عانة وسافر إلى بغداد ليكمل الدراسة في متوسطة الكرخ والإعدادية في الثانوية المركزية ثم دخل كلية الحقوق سنة 1941، وفي سنة 1942 عندما كان طالبا في الحقوق انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي عن طريق حسين الشبيبي الذي كانت تربطه بالمرحوم علاقة وثيقة والتقى يوسف سلمان (فهد) في نفس السنة فقرّبه للحزب لما لمس فيه من ذكاء وحماسة.

ولأمانة، يقول بيان، هذا النقل هو حرفي عن لسان والدي المرحوم، فكان كثير الإشادة به عندما كان الأستاذ فخري مدير تحرير جريدة طريق الشعب في سبعينات القرن الماضي إذ كان يعمل على إصدارها بكل مهنية وجرأة فكانت جذابة بمظهرها ومحتواها تحمل بصمات هذا الرجل الذكي والمخلص لمبادئه وهذا أقل ما يقال بحقه.

ونقل د. بيان شكر عائلة الفقيد لرئيس مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون على اهتمامه ومتابعته رفاق درب النضال.

نشاطاته الفكرية
يواصل ابنه الحديث ليعرّج على إصدارات والده كتاب «الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد» وكتاب «أخرو» نصف قرن من تاريخ وطن» وهما من إصدارات دار المدى.

كان والدي جالساً في مكتبه بمحكمة الاستئناف اتصل به هاتفياً رئيس الجمهورية آنذاك أحمد حسن البكر طالباً من الوالد مقابلته شخصياً!! فذهب والدي إلى القصر الجمهوري والتقى البكر الذي قال له: إنهم (يقصد البعثيين) جاؤوا بفكر مختلف عن التقدمية والحزب الشيوعي ويطلبون التعاون مع الحزب وأنت بصفتك قاضياً مرموقاً أطلب منك قبول منصب المشاور القانوني لمجلس قيادة الثورة!!

طلب والدي مهلة للتفكير، وأجرى اتصالات مكثفة لأخذ آراء أصدقائه والمقربين له ومنهم: عبد الوهاب محمود نقيب المحامين العراقيين، بعد عدة أيام وافق الوالد على المنصب بشروط وهي أن تكون له حرية إبداء الرأي وأن لا يتدخل أحد بمسائل القضاء فضلاً عن رفضه تسلم أي راتب أو مكافآت إضافية واكتفى براتبه كقاضٍ في محكمة.

وكان شرط عدم التدخل في شؤون القضاء عامل قوة له في عدم الرضوخ لضغوطات حزب البعث الحاكم وكان يقول للبكر: صدقك من صدقك لا من صدقك، وأخبره أن مهمته تنحصر في إبداء المشورة القانونية ولكم حرية الأخذ بها من عدمه، وقد ترك والدي عمله كمستشار في مجلس قيادة الثورة بمحض إرادته ولم يكمل السنة الأولى في عمله، لأنه لمس الاتجاهات الاستبدادية للبعث وأن وجوده بات ينطوي على مخاطر كبيرة فأثر الابتعاد وعين قاضياً سنة ١٩٦٩ في محكمة التمييز وهي أعلى سلطة قضائية مدنية في العراق حتى تقاعده من الوظيفة سنة ١٩٨٦.

العلاقة بالثورة الكردية

كانت له علاقة قوية بالسيد عزيز شريف الذي كان وزيراً للعدل وهو شخصية تقدمية ورئيس مجلس السلم العالمي في ما بعد وأواخر السبعينات وكان يطلعه على مجريات المباحثات بين حكومة بغداد وقيادة الثورة الكردية وعمل مفكراً مسانداً لعزيز شريف لضمان حقوق الشعب الكردي في نيل حقوقه القومية المشروعة إلى أن صدر قانون الحكم الذاتي ١١ آذار ١٩٧٠، إذ كان انتصاراً للشعب الكردي في الاعتراف بحقوقه القومية المشروعة.

العلاقة مع فخري كريم

وعن علاقة المرحوم سالم عبید النعمان بالأستاذ فخري كريم يروي لنا ابنه ما سمعه من والده فيقول: كانت تربطه بفخري كريم وشائج صداقة قوية فكرية بشكل خاص، وكان فخري كريم يرى في والدي رمزاً وطنياً من زمن الحلم المضيء وبالمقابل فإن الوالد كان يصفه بأنه: (مناضل قوي وصحفي لامع ومحترف وسياسي بارع)

أن قوة من الحرس القومي مقبلة من الرمادي إلى الحلة لاعتقال والدي وإعدامه وطلب منه ترك الوظيفة والاختفاء مدة من الزمن، فما كان من والدي إلا أن قَدَّم إلى القاضي طلب إجازة مفتوحة وقصد العاصمة بغداد مخفياً.

عندما يكون السياسي قاضياً

يوصل بيان ذكرياته عن والده: انتقل الوالد إلى بغداد سنة ١٩٦٤ وعمل قاضياً في محكمة استئناف بغداد الرصافة مؤدياً واجبه المهني بكل نزاهة وإخلاص بشهادة من عاصروه، وأذكر هنا قراراً جريئاً اتخذته المرحوم في إحدى القضايا فقد أسقط وزير الداخلية في زمن عبد السلام عارف الجنسية العراقية عن أحد المواطنين كونه شيوعياً، فأبطل والدي قرار وزير الداخلية بقرار قضائي مستندا في قرار الإبطال إلى ثغرة قانونية ببراعة وهي أن الشخص الذي يخدم العلم ويستحق الإلزامية يعد عراقياً ويستحق الجنسية العراقية فاستشاط وزير الداخلية غضباً وقدم شكوى إلى عبد السلام عارف من والدي (القاضي سالم عبید) وقال لعبد السلام: هل يجوز أن يكون في العراق الآن قاضٍ شيوعي؟ فاتصل عبد السلام عارف بوزير العدل آنذاك السيد كامل الرواف وقال له: هل عندك قاضٍ اسمه سالم عبید وما رأيك به؟ فأجابته الوزير: إنه من أنزه القضاة في العراق فلم يتخذ عبد السلام أي إجراء بحق والدي.

واستمر في محكمة استئناف الرصافة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٨، وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ حدث ما لم يكن في الحسبان... ففي أحد الأيام عندما

عديدة من دون أن يقدم اعتذاراً ليضرب مثلاً رائعا في البطولة والتحدى، أما والدي فتم إيداعه الحبس الانفرادي لمدة طويلة، وكانت التحقيقات متواصلة مع المناضلين ليل نهار وكانت أرجلهم موثقة دائماً بسلاسل حديدية ثقيلة، وكان يدير مراكز التعذيب هذه مدير التحقيقات الجنائية آنذاك بهجت العطية الذي حقق شخصياً مع والدي في المعتقل.

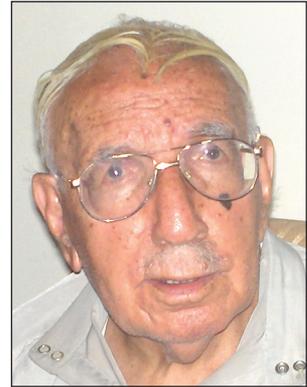
وفي يوم ١٤/ شباط/ ١٩٤٩ اقتيد فهد وحسين الشيبيني وزكي بسيم، وشخص يهودي اسمه (يهودا صديق) عثر في جيب سرواله على قائمة بأسماء خلية حزبية في بغداد، إلى ساحة المعتقل ليرتقوا المشنقة بشموخ الجبال، وقيل أن يساق فهد إليها سلم والدي حقيبتها التي كانت تحتوي على كل وثائق الحزب، وقال لوالدي: (هذه لك يا سالم)، وذهبوا إلى المقصلة بكل قوة وكبرياء (وهنا اغرورقت عيننا دكتور بيان بالدموع) ثم أكمل حديثه: أما والدي فصدر بحقه حكم بالسجن لمدة أربع سنوات وتم نقله مع آخرين إلى سجن نقرة السلطان في السماوة، وهناك ترأس ما يسمى بـ (كتلة نقرة السلطان) أفرادها من المعتقلين، ومارس نشاطاً حزبياً وتم الاتصال بأعضاء الحزب خارج المعتقل عن طريق الرسائل السرية التي سرعان ما كشفت أمرها من قبل الأجهزة الأمنية فحكم على والدي بالسجن لسنتين إضافيتين ثم حصلت انشقاقات داخل الحزب في المعتقل أدت إلى خروج والدي من المسؤولية.

ما بعد المعتقل

سنة ١٩٥٣ خرج والدي من المعتقل، يقول بيان ويواصل: بعد انقضاء مدة محكوميته لينتقل إلى عانة مبعداً مراقباً بشكل يومي لمدة عام من قبل الشرطة ومارس المحاماة وبرز في لواء الرمادي محامياً لامعاً ولكنه ظل يذهب يومياً إلى مركز شرطة عانة ليوقع في سجلاتها ويبقى مراقباً مرصوداً من قبلها ولم يمارس بعد خروجه من المعتقل أي نشاط سياسي بسبب الانشقاقات التي حصلت داخل الحزب الشيوعي في المعتقل، وبعد ثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨ أصبح والدي قاضياً في محكمة محافظة الناصرية لمدة أربعة أشهر، بعدها نقل إلى محكمة الرمادي ثم إلى محكمة الحلة ولم ينتم إلى أي حزب سياسي ويات معلوماً لدى الأوساط الثقافية والسياسية كشخصية تقدمية ديمقراطية، ومع هذا تعرض للاعتقال مرة أخرى سنة ١٩٥٩ بعد خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم في كنيسة مار يوسف في الكرادة الشرقية وتم إطلاق سراحه بعد مدة قصيرة.

انقلاب شباط الأسود

وفي ٩/ شباط/ ١٩٦٣ يوم الانقلاب الأسود اعتقل مرة أخرى على يد قوة من الحرس القومي في مدينة الحلة عندما تسلم البعثيون السلطة علماً أنه لم تكن لدى الوالد أي صلة تنظيمية بالحزب ولكن كان فكره تقدمياً واضحاً، وبعد اعتقاله بعدة أيام تأكد الحرس القومي أنه ليس عضواً في الحزب الشيوعي لذا أطلق سراحه من السجن بضمان محل عمله، وفي اليوم التالي لإطلاق سراحه أخبره زميله في محكمة الحلة (القاضي حسن علي التكريتي)



في يوم 14/ شباط/ 1949 اقتيد فهد وحسين الشيبيني وزكي بسيم، وشخص يهودي اسمه (يهودا صديق) عثر في جيب سرواله على قائمة بأسماء خلية حزبية في بغداد، إلى ساحة المعتقل ليرتقوا المشنقة بشموخ الجبال، وقيل أن يساق فهد إليها سلم والدي حقيبتها التي كانت تحتوي على كل وثائق الحزب، وقال لوالدي: (هذه لك يا سالم)، وذهبوا إلى المقصلة بكل قوة وكبرياء (وهنا اغرورقت عيننا دكتور بيان بالدموع) ثم أكمل حديثه: أما والدي فصدر بحقه حكم بالسجن لمدة أربع سنوات.



النعمان في الثانوية بملابس الفتوة

نصف قرن من تاريخ العراق

تأليف : سالم عبيد النعمان
عرض / المدي

في هذا الكتاب يحاول الباحث السيد سالم عبيد النعمان تدوين تاريخ العراق خلال فترة محددة (١٩٠٠ - ١٩٥٨)

تميزت بأحداث جمة من ثورات و انقلابات ومعاهدات ربطت العراق بالاستعمار البريطاني، ولأهمية كل حدث وسعته جهد المؤلف إيجازها في ٤٠٧ صفحة، مقسماً الكتاب إلى ثلاثة أبواب، وكل باب يحتوي على عدة فصول :-

احتوى الباب الأول على ستة فصول تحدث فيها المؤلف بلمحة موجزة عن تغلغل النفوذ الاقتصادي والسياسي للدول الاستعمارية (فرنسا وبريطانيا) في الأقطار العربية التي كانت تحت نفوذ الرجل المريض، وتطرق إلى الاحتلال البريطاني للعراق في الربع الأخير من عام ١٩١٤، وإلى بروز المعارضة الشعبية، وإلى ظهور الحركات الدينية والسياسية المناهضة للاحتلال البريطاني والفرنسي، وإلى انتفاضة النجف، ممهدة لثورة العشرين التي يتناولها في الباب الثاني.

في الباب الثاني وعلى مدى عدة فصول (من الفصل السابع حتى الفصل السادس عشر) يدون تاريخ العراق خلال فترة العشرينيات والثلاثينات من القرن الماضي. فيتطرق إلى الأسباب الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية التي فجرت ثورة العشرين، وكيف وضعت تلك الثورة حداً للهيمنة البريطانية وجعل العراق اقليماً تابعاً

لحكومة الهند، وكشفت ضعف الجيش البريطاني أمام ثوار الرانجية والرميثة والخضر والسماعة وفوار ديالى وغرب الفرات، كما كشفت أيضاً مدى قوة العراقيين واصراهم على الاستقلال رغم افتقارهم إلى القيادة الموحدة التي كانت أهم ثمرة عانتها الثورة وادت إلى فشلها كما يذكر.

وبعد تدوين ثورة العشرين ينتقل المؤلف إلى مؤتمر باريس عام ١٩٢١، وإلى تأسيس الدولة العراقية، وتنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق، والوزارات التي تشكلت خلال تلك الفترة، والمعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها الحكومة العراقية مع بريطانيا مثل معاهدة ١٩٢٢، ومعاهدة ١٩٣٠ التي كبلت العراق بقيود جمة، فقوبلت بمعارضة شديدة من قبل القوى الوطنية والاحزاب والجمعيات التي تأسست في تلك الفترة، وخاصة الحزب الوطني بقيادة جعفر ابو التمن، والحزب الشيوعي بفكره الماركسي بقيادة حسين الرحال وسليم فتاح وحמיד رفعت والقاص محمود أحمد السيد نجم. ويشير في هذا الباب أيضاً إلى اكتشاف النفط في العراق، وإلى بروز الرأسمال الصناعي والتجاري، وتعاضم دور القوى الانتاجية والاقتصادية، وتعاضم دور الملك فيصل وسيطرته على البرلمان والاحزاب بعكس خليفته الملك غازي الذي اتسم بالضعف، وتولييه البلاد لفترة قصيرة اثر حادث سيارة.

اما الباب الثالث من الكتاب يتناول فيه المؤلف (من الفصل السادس عشر حتى الفصل الأخير - الرابع والعشرون) تاريخ العراق في فترة

الأربعينات والخمسينات حتى نهاية الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية، التي تميزت بأحداث عالمية وعربية جمة، كان لها تأثيراً كبيراً على مسار التاريخ العراقي عامة، وعلى مسار الحركة الوطنية خاصة، ولعل من ابرز تلك الاحداث الحرب العالمية الثانية ونهايتها، وبروز الولايات المتحدة كقوة دولية تحاول الدخول إلى الشرق الاوسط. ومن الاحداث الأخرى المهمة التي على الصعيد العربي التي يتطرق إليها في هذا الباب: تأسيس الجامعة العربية ودخول العراق عضواً فيها، ووعد بلفور، ودخول الجيش العراقي لفلسطين، والثورة الكردية، ومؤتمر باندونج.

فيذكر كيف كان مصير الجهة الخاسرة أو الراجحة في الحرب العالمية الثانية مؤثراً على مصائر الحركات السياسية، وخاصة تلك الاحزاب الوطنية كالحزب الشيوعي، وحزب الاستقلال، والحزب الوطني الديمقراطي.

ومما يلاحظ بأن المؤلف في هذا الباب وعلى مدى جميع فصوله يفصل في مسيرة الحزب الشيوعي النضالية بخلاف ما درج عليه في تدوين الاحداث الأخرى التي كان لها اثر كبيراً على تاريخ العراق. فيتطرق في مستهل هذا الباب إلى تأييد الحزب الشيوعي بقيادة فهد للاتحاد السوفيتي في حربه ضد ألمانيا، وإلى دور الحزب الشيوعي في الحركة الوطنية مؤكداً بأنه لم يكن في تلك الفترة في الحركة الوطنية من يمثلها سوى الحزب الشيوعي (ص ٢٦٢) ولعلنا نجد في ذلك مبالغة كبيرة من المؤلف. ويتابع مسيرة الحزب فيتطرق إلى ملاحقة الحكومة

لأعضاء الحزب مجرد انتمائهم للحزب الشيوعي، ونشر فكر الحزب الذي يدخل في نطاق الجرائم السياسية، وخاصة خلال وبعد وثبة كانون ١٩٤٨، وبعد اتفاقية النفط التي أبرمها نوري السعيد مع شركات النفط، وانتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ التي يأتي على ذكرها بتفصيل في الفصل الحادي والعشرين من الكتاب، ويمضي المؤلف في تتبع نضال الحزب الشيوعي ليين اثره في اسقاط الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية بمساعدة الضباط الاحرار. وحدث بثورة ١٤ تموز يكون المؤلف قد أنهى كتابه، قبل أن تنهي المنية حياته في منتصف شهر شباط من هذا العام.

يبدو من مراجعة الكتاب بأن المؤلف بذل جهداً قيمياً في تأليف الكتاب ولكن هناك بعض الملاحظات التي كنت أتمنى أن يطلع عليها المؤلف ولكن المنية سبقت مراجعتي للكتاب، مثلاً عندما يأتي على ذكر ثورة الشريفي حسين يذكر في ص ٣٩ - ٤٠ « بأن فيصل قد خان والده الشريفي حسين خلال ثورة الحجاز وتعاون مع الإنكليز...» يذكر بأن موقف فيصل هذا يدعو إلى الشك والتأمل ويصف سلوك فيصل «السيخ المشين» إضافة إلى أنه في صفحات أخرى يصفه بالعمالة وخيانة العراقيين. وهنا أرى بان هذا تجني على فيصل لأن المراسلات بين الشريفي حسين واولاده المحفوظة في المكتبة الوطنية العراقية تحت مصنف (وثائق نجد) تؤكد على وقوف اولاد الشريفي حسين جميعاً بجانب والدهم، فلا يعقل أن الملك فيصل يخون والده، بينما في صفحات لاحقة من الكتاب نرى المؤلف

يشيد بوطنيته فيذكر في ص (١٢٥ - ١٢٧) بأن الجماهير الوطنية العراقية قد أيدت سياسة الملك فيصل على أساس استقلال العراق وان السلطات البريطانية المحتلة كانت ترى ان الملك فيصل وراء التظاهرات التي تطالب باستقلال العراق، ورفض معاهدة ١٩٢٢ بأسلوبه المتميز سرا وعلاوية وأن المعتمدية قد سعت إلى إقالة الملك فيصل، ووصفه تشرشل «بالشيطان المرئي». كما يؤكد أيضاً على وطنيته في ص (٢٠١ - ٢٠٩) عندما يذكر رسالة الملك فيصل الموجهة إلى وزيره لبناء العراق دولة عصرية ودعوته لمحاسبة المختلسين وبناء معمل للقطن أو معمل للزجاج بدل بناء دار للحكومة أو قصر ملكي.

اما في الفصل التاسع فنجد فيه انتقالات زمنية غير منسجمة مع عنوان الفصل. ولو انتقلنا إلى الفصل الخامس عشر نرى بأنه يذكر في ص ٢٤٥ بأن الضباط الأربعة «قادة حركة مايس» قد تقدموا بطلب لتأسيس حزب باسم حزب الشعب فأجيز في ٢٧ آذار ١٩٤١ غير أن الحقيقة التاريخية تؤكد بأنه قد رفض اجازته ولم يتم تأسيسه، وفي صفحات لاحقة من الفصل ذاته يشير إلى رسالة الحزب الشيوعي الموجهة إلى رشيد عالي الكيلاني لتنهضته على حركته ويذكر تاريخ الرسالة في ٧ أيار سنة ١٩٤٧... وفي الفصول اللاحقة عندما ذكر موقف الحركات الوطنية من الصراع العلمي في خمسينات القرن العشرين تجاهل دور بعض الأحزاب فهو مثلاً مر مرور الكرام على حزب البعث في ص ٣٤٧ و ٣٧٧...»

سالم عبيد النعمان

فقيه الوطن والديمقراطية والثقافة

نجيب محي الدين

قيادي في التيار الديمقراطي
نقيب المعلمين الأسبق

لقد اقل نجمٌ كان ساطعاً في الوسطين السياسي والثقافي لفترة طويلة من الزمن في بلادنا، حين غيب الردى عنا شخصية متميزة بخصالها من الابناء البررة لهذا الوطن، التي لن يتلاشى او يخفت تقديرها بسهولة في ذاكرة الذين عرفوها عن قرب أو من الذين عرفوها وتأثروا بها بعدما تهيأ لهم ان يقرؤا لها او يسمعوها من المثقفين والمعنيين بالشؤون العامة للبلاد عن مسيرتها النضالية ووزارة معرفتها ومنهجيتها واخلاقها السامية. وفي تقديري ان فقيدنا سالم عبيد النعمان وقد عرفته منذ اكثر من ثلاثين عاما كان حقا من أولئك الاشخاص النادرين الذين ستظل معالم مسيرتهم في الحياة وضياء وخالدة في التاريخ السياسي العراقي الحديث، فمسيرته تحفل بمواقف الحب والاخلاص والتفاني من اجل الوطن والوفاء له، معبرا عن ذلك بمواقف عملية وواقعية تتمثل في حبه للمواطنين واحترام حقوقهم وتقديس كرامتهم والدفاع عن المظلومين منهم دون تمييز بايمان راسخ لا يتزعزع مستوعبا ومستلها روح مبادئ وقيم انسانية آمن بها دون تزمت او تعصب فكري بعد ان نهل من ينابيع المعرفة من مختلف مصادرها وازمانها واعلامها منذ مطلع فترة شبابه حين حكم عليه بالسجن لعدة سنوات لنشاطه السياسي الوطني خلال فترة الحكم الملكي فاستغل فترات فراغ الوقت المتوفرة لديه في السجن ليزيد معارفه ويتعمق ويدقق فيها ويضيف اليها الجديد النافع واستمر على ذلك حتى أواخر حياته.

لقد عرف عنه ناشط سياسي مخلص بنهج ديمقراطي اسلوبا وغاية.. والغاية عنده بما للديمقراطية من ابعاد واهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية لتنظيم المجتمع وضمان خيره وتطوره. لقد كان سياسيا من ضمن تلك الكوكبة النادرة التي اعتبرت العمل السياسي وسيلة لتحرير الوطن وخدمة المواطنين والتصدي للفساد والاستبداد والاستغلال لا وسيلة لتحقيق الوجهة الشخصية والنفوذ والاستحواذ على المال العام او غيره مشرعا بالقانون الذي يريده او بدونه كما عرف عنه رجل قضاء متميز بنزاهته وبغزارة معرفته القانونية وسعة أفقه الفكري وصوابية أجهاداته في قراراته التي ينسجها بدقة واحكام وجراة ووضوح هادفاً من كل ذلك ان يأخذ الحق مكانه والعدل مساره وبذلك استطاع أن يأخذ مكانة متميزة في الوسط القضائي والثقافة القانونية بالرغم من الظروف السياسية الاستبدادية التي سادت البلاد. لم يكن متميزاً



العدد (2451)

السنة التاسعة

الخميس (12)

نيسان 2012

جلسة حوار مع الشخصية الوطنية «سالم عبيد النعمان»

ع غناوي الزهيري



النعمان يستقبل عدد من اصدقائه

المكوكي بين بغداد وكاللة مقر الزعيم الكردي ملا مصطفى البرزاني .
وبحكم صداقتي الوثيقة معه كان عزيز يطعنني على دقائق الوساطة التي اسفرت فيما بعد عن قدوم الوفد الكردي الى بغداد ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ لوضع الخطوط النهائية والمسلمات الأخيرة للحكم الذاتي للأكراد . وهذا كان ثمرة جهود عزيز شريف الى جانب مرونة القيادة الكردية التي أدت الى إعلان بيان آذار ١٩٧٠ وإعلان الحكم الذاتي للأكراد . كان عزيز شريف حقاً مهندس الحكم الذاتي وأحد واضعي أسسه .

زارني عزيز شريف كعادته يوم ١٢ آذار ١٩٧٠ سألته عن كيف صار وزيراً للعدل ، أجبني بأن بكر وصدام طلبا مني أن اساهم في الوزارة ، قلت لهما بأني أوافق على أن أكون وزيراً للحكم الذاتي «وزير الشمال» فإني أرغب أن أكمل مسيرتي . تقبلا مني هذا الشرط ، غير أن المرسوم الجمهوري قد صدر بتعييني وزيراً للعدل وقال لي بالحرف الواحد «هذه أول خيانة مارستها قيادة البعث حقني» ، فقبلت أن أكون وزيراً بهذه الصفة واقتعنت أن قيادة البعث تنوي شرا بالأكراد ولا تريد أن يكون لهم حكم ذاتي حقيقي .

××عزيز شريف ضد عقوبة الإعدام من حيث البعد :-

زارني عزيز شريف وكان وزيراً للعدل في يوم ثان لأحد الأعياد وهي عادتي في قبول اصدقائي المهنيين في مثل هذا التاريخ . وجد جمعا من الأصدقاء بينهم بعض القضاة منهم ضياء شيت خطاب ، وهاشم الحاج إبراهيم وفخري مدحت وربما عبد الرزاق عبد الوهاب وغيرهم إضافة الى بعض الأصدقاء وكان حسين جميل حاضراً ، تحدث عزيز شريف عن مأساة إعدام ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري فقال : كنت على موعد لزيارة الزعيم عبد الكريم قاسم لإستأذانه السفر وأخبره بإجتماع عام لمجلس السلم وأعرض عليه الخطاب الذي أعدته ، كنت في غرفة الإنتظار ، وقيل لي أن فاضل عباس المهدي في لقاء مع الزعيم ، ثم خرج فاضل وإمرات الغضب بادية على محياه ، فرجاني أن أتحدث إليه في غرفة منفردة ، قال لي كنت متفقاً مع عبد الكريم قاسم أن اصدر حكماً بالإعدام على ناظم ورفعت وجماعتها وأن عبد الكريم قاسم سيخفف العقوبة الى الحبس أو السجن بل والى إطلاق سراح البعض ، اما الآن فهو ينقض العهد وإني جئت محتجاً وقلت له هذه خيانة منك وعدم التزامك بتعهد الشرف الذي أعطيته لي لتعفوا عنهم أو تحبس بعضهم وأنت الآن تريد إعدامهم وتصر عليه .

ويقول عزيز أن المهدي وصف عبد الكريم قاسم بأوصاف تحط من قدره إن ذكرت ، ويقول المهدي أن عبد الكريم قاسم قال لي أنه سينفذ على هؤلاء الإعدام تكاية بجمال عبد الناصر وصوت العرب وطلب مني أن ارجوا عبد الكريم بعدم تنفيذ عقوبة الإعدام . وعند مقابلتي لعبد الكريم ، كررت عليه رجاء العفو عن هؤلاء أو على الأقل إلغاء عقوبة الإعدام وهذا ما تفرضه على (عزيز) مبادئه ضد عقوبة الإعدام واضفت مخاطباً أنك اقوى من العواطف وأرجوا

عام تعقده حركة السلم ، العمامة الى جانب السدارة ، وحاسري الرأس ، تجد عمال البناء والسيكاير وغيرها من المهن بجر اوياتهم المتنوعة أو اللباس الأزرق لعمال السكك .
هكذا كانت توحده حركة السلم العراقيين ، فالناظر الى هذا الجمع يشعر بحكمة الآية القرآنية (ونزغنا ما في قلوبهم من غل أخوانا على سرر متقابلين) ، فليت شعري هل يتعظ بعض ابناء الشعب بهذه الحكمة القرآنية ؟

إضطره إرهاب نوري السعيد الى مغادرة الوطن الى سوريا وكانت لسوريا حينذاك حكومة ديمقراطية ليبرالية برئاسة خالد العظم وأسهم فيها حزب البعث العربي الإشتراكي والحركة الإشتراكية برئاسة أكرم الحوراني والحزب الشيوعي السوري . كان أبو عصام يطري الحوراني بإعتباره وزيراً للداخلية ويطري مساعدته للعراقيين جميعاً ، وكان يلاطف عزيز بقوله «ألا يوجد في العراق زنبور ..» .
«عسل» كان يطريه لأنه كان ينظر الى العراقيين بإحترام ، وكان لا يريد له سؤالا في طلب مساعدة العراقيين وقد مكنت عزيز فترة بقائه في سوريا كرئيس لحركة أنصار السلام أن يحظى بثقة الجميع على إختلاف أدوارهم السياسية .

×ما أبرز المشكلات التي أسهم عزيز شريف في التصدي لها ؟
- كان ابو عصام منذ تعرفت عليه يؤكد على أن مشكلة الحكم في العراق تكمن في إنه عاجز عن حل القضية الكردية بإعطاء الأكراد حقوقهم المشروعة في حكم ذاتي ، ووضع هذه القاعدة التي يتبناها من أهم واجبات حركة السلم . وربما كان وجوده في سوريا وإفتتاحه على الجميع وإحترام القوميين له عاملاً في إختيار حكومة البعث في إنقلاب ١٩٦٨ بأن يكون وسيطاً لحل القضية الكردية . كان ترحيب القيادة الكردية لهذا الوسيط النبيل بداية تحركة

حصيلته أن أصبح عزيز شريف سكرتيراً لحركة أنصار السلام . يبدأ عزيز شريف نشاطه الفكري والإجتماعي والسياسي كقائد لهذه الحركة بوضع الأسس التي سترتكز عليها هذه الحركة :-
أ - الإفتتاح على كافة أبناء الشعب بذهنية غير حزبية ، نهئية تجمع العراقيين كافة ، نهئية التآخي والمحبة والكلمة الطيبة ، فالسلم والأمن وكرهية الحرب وما تجره من مآسي هو رائد العراقيين على إختلاف مشاربهم .

ب- إعتبر عزيز شريف أن الأحزاب الوطنية والقومية هي القوة المحركة لحركة أنصار السلام ، فرجال الأحزاب المبرزون الذين ينتمون الى حركة السلم يتعين أن يكونوا في نشاطهم دعاء سلم وليس دعاء لأحزابهم بإعتبار أن حركة السلم هي جزء من أهداف ونشاطات هذه الأحزاب . أن هؤلاء يعملون كقاسم مشترك لجميع القوى العراقية الخيرة في دفعها لتأييد حركة أنصار السلام .

ج - وكان عزيز شريف من هذه الناحية ينظر الى الإتحاد السوفييتي كأعظم نصير للسلم ، فحركة السلم قومية وأمية في الوقت عينه ، إذ تجد كل قومية فيها ما يحقق لها طموحاتها في مجتمع يسوده السلم والأمن . وكان الإتحاد السوفييتي نصيرها جميعاً .

د - كان عزيز شريف بحكم إنتمائه العائلي ، عارفاً بدروب الفقه الإسلامي بشيخيه السني والشيوعي وكان ابو الحاج شريف عالماً يتمتع بإحترام لواء الدليم حتى دير الزور في سوريا وقد قال عنه حسين جميل أحد أبرز القضاة الذين مارسوا القضاء في «عنه» (١٩٣٥ - ١٩٣٦) : «لو كان الحاج شريف في بغداد لفاق كل علمائها» .
هذا الإرث مكن عزيز من لوج الدروب التي أوصلته الى إحترام رجال الدين شيعة وسنة والى ضم كافة القوميات ضمن هذه الحركة التي تجد في صفوفها في إجتماع

الأهالي ، وصار المدير المسؤول للجريدة بعد إنتقال حسين جميل الى سلك القضاء . تعرف على كامل الجادرجي عند إنتمائه الى جماعة الأهالي وتعرف على جعفر ابو التمن عندما صار حليفاً للأهالي ، ثم جزءاً منها ، وكان شديد الإعجاب به وكان يحدثني عن مزايا أبو التمن وصفاته الوطنية التي كانت مثالا لكل العراقيين . ويصف هذا الزعيم الذي يلبس «كشيدة» التجار ، بأنه عدو للطائفية وداعية لوحدة المذاهب والأديان .

وفي سنة ١٩٣٧ إنتخب عزيز عضواً في مجلس النواب -أيام إنقلاب بكر صدقي- فكان أحد خطباء المجلس في القضايا التي تشغل بال الوطن وخاصة القضية الفلاحية والعلاقات الزراعية ، ... الخ .

أسهم عزيز شريف في تحرير صوت الأهالي التي اصدرها كامل الجادرجي خريف سنة ١٩٤٢ ، ولكنه إختلف مع الجادرجي في موضوع الإنتقال الى النشاط السياسي العلني وتأسيس حزب ، وذلك سنة ١٩٤٣ . ونتيجة إصرار عزيز شريف على عدم الركود إزداد الخلاف بينهما ، فغادر صوت الأهالي ليؤسس دار نشر ثقافية بإسم «رسائل البعث» . في تلك السنة تعرفت شخصياً على عزيز شريف ، وكنت حينذاك طالباً في الصف الثالث في كلية الحقوق .

إنتسب عزيز شريف الى القضاء ، وصار قاضياً في المحكمة الكبرى التي كان يرأسها شخص إنكليزي يقال له «مستر كامبل» كان الإنكليز بعد إحتمال العراق الثاني سنة ١٩٤١ ، عادوا الى الإشراف على القضاء ، فكان رئيس محكمة التمييز إنكليزياً ، وهكذا رؤساء الإستئناف وبعض المحاكم الكبرى في بغداد وألوية أخرى غيرها .
أسس عزيز شريف -حزب الشعب - ومارس نشاطاً ملحوظاً وفي الخمسينيات بدأ التقارب بين الأحزاب والكتل السياسية (أغلقت حكومة صالح جبر حزب عزيز شريف - حزب الشعب - المعارض) فكانت

إلتقيت الرجل السياسي والقانوني الذي واكب وأثر في أهم مرحلة من تاريخ العراق السياسي . شيخاً يتفجر حيوية ، تليق بأهمية الدور الذي لعبه في بناء النواة الأساس -مع أبرز الرجال- للحركة الديمقراطية في بلادنا في بدايات أربعينيات القرن المنصرم ، ويتمتع بذاكرة قل نظيرها في مثل هذه السن التي تنمى أن يطول به العمر ليتحفنا بأعمق الرؤى المدونة بأعذب الاساليب العربية المعبرة .

حيث أنجز الكثير من البحوث (فلسفة التشريع ، الوصية الواجبة ، العملية التشريعية وغيرها ، وأخرها كتابه -الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد-) لم أر أي حرج في مقابلتي له في داره ، إذ إنه كان له -قبوله- يوم الجمعة ، حيث يجتمع لديه السياسي والصحفي الى جانب الأديب والفنان ورجل القانون ، ليتصاعد حلو الحديث وأعدبه من عمق الحقيقة التي تتجلى في تلاوين الكلام المميز . بأروع معلومة يمكنك أن تتصيدها . قبل مشكورا التحدث في السياسة والتاريخ والوطنية التي يبحث عنها اليوم الجميع ...

×لم تنقطع صلتك بالسلم ورجاله وما أنتم اليوم عضو في المجلس العراقي للسلم والتضامن ، فهل ياترى نطمح أن تستحثوا الذاكرة لتبسطوا للقارئ الكريم تلك العلاقات الشخصية والسياسية التي توثقت بسكرتير حركة أنصار السلام الأستاذ المرحوم عزيز شريف ؟ وكيف كانت طبيعة اللقاءات والأحاديث وربما السجلات التي طبعت تلك العلاقة ، وما رشح عنها من مواقف مسؤولة ؟

-لا ننسى عزيز شريف مناضل سياسي منذ كان طالباً في كلية الحقوق ، كان حاضراً ومشاركاً في كل المظاهرات والإحتجاجات التي ظهرت سني ١٩٢٨ - ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . ظهرت ميزته القيادية في المظاهرات فكان نصيبه التوقيف والطرود المؤقت . وعندما تخرج في كلية الحقوق ، إنتمى الى جماعة

مجزئة يرتبط كل كيان بحصة الدولة المستعمرة وفق إتفاقية سايكس بيكو . كان العراق من حصة بريطانيا ، وواقع العراق حينذاك قد خرج من ثورة العشرين وتوحد أكثر عندما تمت سيطرة الإنكليز بفرض معاهدة ١٩٢٢ الظالمة معاهدة الإحتلال . كان قيام دولة العراق قد أملتته الضرورة أولاً لأنه مطلب عراقي نادت به ثورة العشرين ، وتبلور جيداً في بداية العشرينات .

وثانياً أن الإنكليز كانوا بحاجة لقيام دولة بعد فشلهم بربط العراق بالتاج البريطاني في الهند . وكانت هذه الدولة في نظرهم تخفف على الأقل من حدة النزاع القائم بين الشعب العراقي الموحد في كفاحه لنيل الإستقلال والسيادة الوطنية وبين الإنكليز كقوة تتحمل عبء مصروفات الجيش المحتل . لذلك فإن سلاح الطائفية والعنصرية لم يكن له دور أو أثر مهم في مجتمع العراق الموحد ضد عدو محتل .

والحال يختلف كلياً عما كان عليه العراق قبل قرابة قرن من الزمان . جاء الإحتلال وفي جعبته مشروع بريمر الذي ابتدأ أولاً بتحطيم الدولة العراقية وحل الجيش العراقي وإنهاء مؤسسات الدولة السياسية والمدنية والإجتماعية والخدمية ، وسمح للغرضي أن نعم القطر فإنتقل الغوغاء والشقاق والحواسم ينيهون ويسلبون ويحرقون مؤسسات الدولة .

أعقب ذلك قرار الحاكم بريمر بتشكيل مجلس السبعة القائم على أسس طائفية وعرقية أعقب فشله مجلس الحكم وهو مجلس طائفي عنصري تبنته مع الأسف كافة الأحزاب السياسية التي شاركت في مجلس الحكم رغم إن بعضها قبلته على مضض . ولما كان الوضع السياسي العام والحالة هذه قد إنتقل إلى سيطرة الدين شكلاً ، فقد تلاققت الأحزاب ذات الصبغة الدينية والعنصرية مبدأ المحاصصة هذه (الطائفية والعنصرية) كهدف أسمى لتحكم البلاد بعد تعميق الطائفية المنهجية .

وهكذا إستقل سلاح الطائفية وما جره من مأس ليحرف الشعب وتكوينه المجتمعي المكون من فئات وطبقات إلى خلافات يعاني منها الشعب ، إذ إعتبرته مقسماً إلى فئات دينية وعرقية ضمن الحركات الدينية ، وأهملت حقيقته وإعتبرتها كأن لم تكن في قاموس الحكم .

«يعتقد البعض أن التيار الديني الطائفي قد فشل في قيادة المجتمع العراقي وبناء مؤسساته الديمقراطية في ظل فرصة ذهبية قد منحت له ، فهل ترون تحصيل هذا التيار الفشل كله ؟ .

أرى أن الذي في طريقه إلى الفشل هو مشروع بريمر المبني على المحاصصة الطائفية والعرقية . والخطأ الذي وقعت فيه التيارات الدينية هو تبني هذا المشروع «البريمري» الطائفي . لقد تلاققت وعمقت وإعتبرته نهجاً للحكم الذي بنته على المحاصصة . تدور الآن في أعقاب الإقرار بفشل المحاصصة مقترحات ومشروعات ، ومن الواضح أن التعديلات التي تضمنتها بعض المشروعات تتجاهل عن عمد واقع الشعب العراقي الذي كان قد إنقسم منذ زمن طويل إلى فئات ومراتب إجتماعية لها مصالحها المتعددة والمتناقضة ويلعب التنافس والتناحر فيما بينها وبين خصوصيتها المستغلين دوره في مسارها المستقبلي . هذه الحقيقة الصلبة هي واقع المجتمع العراقي ، ولا يمكن لأي غطاء أن يزيله أو يتجاهله .

هذا الحوار سبق ان نشر في المدي عام 2009

مركزية هزيلة وضعيفة تربط بخيوط واهية ثلاث حكومات متميزة بعضها عن الأخرى ، دينية شيعية ودينية سنية وحكومة كردية قومية .

وفي هذا يشترك مشروع بايدين مع مشروع كيسنجر ، الأول ديمقراطي والثاني جمهوري مع إختلاف بسيط بينهما سوى أن كيسنجر يرى أن الضرورة تقضي بقيام حزبين متنافسين غير أنه لم يفصح عن طبيعة هذين الحزبين ، ما هي أغراضهما ومن يمثلان ثم في النهاية إلى التقسيم النهائي وما يتبعه من حتمية الصراع بينهما والتي لن يزيلها في النهاية إلا قوة الشعب المتناسك .

فهل سيحقق التيار الديمقراطي غير الموحد مكاسب في هذا الخضم من الصراعات والأوضاع المعقدة التي أشرتم إليها في سؤالكم ؟ . المغروض إنه يجب علينا أن نتفاعل ولا نسمح لخبيبة الأمل أو اليأس في هذا التيار . هناك علائم وإرهاصات تعطي الأمل في هذا التيار . فإذا قورنت أوضاع العراق قبل أربع سنوات مع حاضرنا نجد أن الوعي الشعبي يزداد سعة وقوة وتتوضح عوامل التناقض والتنافر بين عديد من القوى في هذا الشعب .

ومن هذا فعلى التيار الديمقراطي أن يطمح إلى أن يكون كياناً متميزاً كما كان عليه أسلافه في القرن الماضي ومما يشجع الأمل أيضاً هو أن القوى في التيار المقابل تتخبط في اتجاهها ولا تعرف سوى غطاء الدين لتغطي شهوة الحكم والإستئثار به وتهميش القوى الوطنية الأخرى بل وتجاهلها . إنهم يحاولون لوي التاريخ بالإرتداد إلى الماضي وهيهات لحقائق التاريخ أن تنال منها هذه الأوهام .

«من خلال دراستنا لكتابتكم الأخير لمسناً شيئاً من التركيز على الدور الريادي للقيادة التاريخية الواعية في بعث الروح في التيار الديمقراطي ودفعه للأمام فهل ترون إننا بحاجة لمثل ذلك اليوم ؟ .

طبعاً نحن بأشد الحاجة إلى قيادة تاريخية واعية تعمل على بعث الروح في التيار الديمقراطي ودفعه إلى أمام ، لكن الرغبات والتمنيات شيء وواقع الحقائق الماثلة أمامنا شيء آخر . الواقع السياسي والإجتماعي الآن قد تغير عما كان عليه من قبل فلقد إنتقلت السيادة إلى الدين ، ويولوجي - للأسف - إن الظروف الحالية للأحزاب والتنظيمات والكتل السياسية المشظية غير ناضجة لقيام قيادة تاريخية تحقق بعض الطموحات لبعث الروح في التيار الديمقراطي ودفعه إلى أمام .

إن الدعوة إلى عقد مؤتمر تسهم فيه الأحزاب الوطنية الفاعلة والقوى السياسية الوطنية والقومية لرسم سياسة موحدة يتفق فيها على الخطوط الكبرى لتنسيق العمل الموحد ذي الطابع الديمقراطي الذي يوحد أبناء الوطن في التحرير والسيادة الوطنية التي تساوي بين أبناء الشعب في الحقوق والواجبات ، وقد يكون المؤتمر المقترح في موثيقه التي تنبثق عنه من توجيهات في بعث الروح الديمقراطية في هذا التيار ودفعه إلى أمام .

«م بإعتقادكم لم تطفو النزاعات الطائفية والعرقية في المجتمع العراقي مرافقة تأسيس الدولة العراقية الحديثة وحتى إكتمال بنائها بينما نرى تفجرها بشكل مرعب في هذه المرحلة ؟

«كانت خطط المستعمرين أثناء الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها تقطيع أوصال الوطن العربي الذي كانت تحكمه الإمبراطورية العثمانية وإحلال كيانات

عما هو عليه الآن . الوضع السياسي في بلدنا معقد سواء من حيث إصطاف القوى والمواقف بعضها من الأخر ، حيث تنعدم الثقة بينهم ، وأكثر من ذلك يسعى البعض للإستئثار بالسلطة وتجاهل الآخرين ويعم هذه الكتل إنعدام وضوح الرؤيا وخاصة لدى القوى (النهاشة) . ومما زاد في هذا التعقيد والتخبط هو أن القوى المتحكمة في بلدنا هو المحتل الأمريكي بجيوشه ثم في توجيهه العام غير المباشر للحكم .

ومما يزيد في الوضع سوءاً يعكسه على العراق ، هو أن هذا المحتل واقع في مأزق عسكري كما أن ستراتيجه العامة متذبذبة غير مستقرة جراء الصراع بين الحزبين الرئيسيين في أمريكا (الجمهوري والديمقراطي) الذي صار العراق محورا مهما في التأثير عليه وعدم إستقراره . والمسألة التي رافقت الغزو الأمريكي والمخطط الأمريكي الصهيوني الذي يستهدف في نهاية المطاف تقسيم العراق إلى ثلاث كتل دينية وعرقية ، هذا المخطط في رأيي يتم تدريجياً وعلى مراحل يستخدم فيه الدين كسلاح للتفرقة الطائفية وتستخدم النعرة الإثنية سلاحاً للتفرقة بين الكرد والعرب . بدأ هذا بمجلس السبعة الذي عينه بريمر وأدى فشله إلى تعيين مجلس الحكم حيث قسم المحتلون مثليه إلى شيعي ، سني ، كردي .

ثم كانت مهزلة حكم الشهر الواحد الذي تناوبه المنقسمون فكل فئة تراقب الأخرى وعلى هذا كانت المحاصصة الطائفية والإثنية عنوان الحكم . وبعد إفئضاح مجلس الحكم كان دور المتخصصين في تعميق المذهبية الطائفية والعرقية ، وهذا معروف ومعلوم للحكومات المتعاقبة بعد مجلس الحكم . وتعلمنا الأبناء التي تتناولها الصحف والفضائيات إلى أن يتبلور مشروع المحتلين إلى قيام حكومة



بعد تسلّم صدام للسلطة بإنقلاب تأمري على أحمد حسن البكر ، زارني عزيز شريف في داري ، كان يوحى بالقلق ، مكث فترة ، وبعد أحاديث طويلة عن هذا الانقلاب وذبح خيرة البعثيين أمثال محمد عايش وعدنان الحمداني ومحمد محبوب وغانم عبد الجليل وآخرين غيبت الذاكرة أسماءهم ، وإستعرضنا خطابته الذي يقول فيه بأنه سيف بين السيوف وتوقعنا أن مآسي وكوارث ستحل بالشعب العراقي وعندما هم عزيز بالخروج قال أريد الزوادم لأسلم عليهم جاؤوا إلى عمهم فرحين بمقدمه ثم غادر الدار ورافقه إلى حيث السيارة التي أقلته .

إلى ، وإتخاذي القرارات الصائبة في لحظتها هي التي فتحت لي الباب واسعا في إناطة مسؤوليات أساسية وقيادية لي ، اسهمت مع فهد وزكي في تأسيس وبناء حزب التحرر الوطني ، وكنت المسؤول الحزبي فيه أمام فهد بالذات ، قادت معظم المظاهرات بإستثناء مظاهرة حزيران ١٩٤٦ حيث كنت موقوفاً ، وماعادها كنت المسؤول عن المظاهرات الأخرى .

مر علي في إحدى هذه المظاهرات التي تقرر تحركها بالقر من سينما الزوراء إمتحان صعب إذ كنا قد قررنا أن نقوم هذه المظاهرة وأعدنا لها كل مستلزمات تحركها ، وفي الوقت المحدد فوجئت وأنا أتوجه نحو مسؤولي تحريك المظاهرة المتواجدين في مقهى شط العرب ، إن المظاهرة مكشوفة ، وإن الحزب مخترق ، إذ كان عدد الشرطة يقارب عدد المتظاهرين الحزبيين ، فإذا تحركت المظاهرة فإن أكثر من نصف المتظاهرين سينزج بهم في الموقف .

إتخذت قراراً بإلغاء المظاهرة وعرضت الرأي على المسؤولين معي عن تحريك المظاهرة ، وهكذا فقد أصدرت قراراً بالتفريق بهود تام . إطلع فهد على قرار إلغاء المظاهرة ، هذه المظاهرة التي إستغرق الإعداد لها ثلاثة أيام . كان فهد يذهب في المساء ، وكنت أرافقه ، وكنت أعجب كيف أنه يعرف جميع الأزقة «الدرايين» وأفضل أمكنة التحشد لكل مجموعة .

إن قرار إلغائها كان صعباً كان بالنسبة لي أقرب إلى مغامرة ، ولكنني لحظتها عندما رأيت أن تحشد الشرطة كان غير مألوف ، إذ كان عددهم -كثرته يقارب عدد المتظاهرين- فإن مجرد تحرك المظاهرة يعني بدء المعركة بين قوتين أحدهما قوتنا وهي مجردة من كل شيء ، وثانيتها قوات الشرطة المزودة بالعصي الغليظة والبنادق .

لقد وازنت بين عدد المتظاهرين الحزبيين الذي سيشتل الحزب إذا أوقف ربهم ، فكيف الحال إذا جاوز نصفهم ، لقد وازنت بين سلامة الحزب وبين مظاهرة لم تكن بتلك الضرورة ليتوجب إقتحام المخاطر لقيامها . أوضحت الواقعة كلها وكيف شاهدت المظاهرة مكشوفة وأن الحزب مخترق ، فليس بد من إلغائها ، قال لي فهد «قرار إلغاء المظاهرة كان سليماً ، نحن نرسل مسؤولين يشعرون بمسؤولياتهم ويتصرفون كقادة ميدانيين» .

ولا أريد أن أعدد كثيراً من موافقي في أحداث واجهتها كمسؤول حزبي أنيط بي عملاً وواجباً محدداً وهذه جعلت قيادة فهد أن تقربني من مسؤولية مهمة وحساسة جداً ضمن دائرتها وفي مركز قيادي مهم . كان تنظيم الحزب مرناً متحركاً يتجدد بإستمرار في تقديم نشاط الحزب البديعين من ذوي الإبرار السليم (Common Sense) ومعظم كادر الحزب تلك الايام يتميز بهذا الوصف ، وهذا أحد أسرار نجاح الحزب وتوسعه وجماهيريته في ظل قيادة فهد . واكتفي بهذا جواباً على إلحاحكم وإرجاكم لي .

«هل يتحرك النمو المتواضع للتيار الديمقراطي اليوم بدييات ظهوره كقوة على الساحة العراقية في أوائل الأربعينيات حيث إنكم في صلب المعركة حينما كانت تمور الأفكار وتتصارع عميقاً في المجتمع العراقي آنذاك ؟ وهل تتوقعون له أن يحقق مكاسب ونجاحات في هذا الخضم من الصراعات المعقدة اليوم ؟ .

«أعتقد أن الوضع السياسي العام في الأربعينيات من القرن المنصرم يختلف

الرحمة بهؤلاء وعوائلهم ، غير إنه لم يلتفت إلى رجائي . هذه بعض مآثر هذا الرجل داعية السلام ولو شئت لأخبركم بتفاصيل هذه المزايا التي تستغرق كتاباً .

«اللقاء الأخير :- بعد تسلّم صدام للسلطة بإنقلاب تأمري على أحمد حسن البكر ، زارني عزيز شريف في داري ، كان يوحى بالقلق ، مكث فترة ، وبعد أحاديث طويلة عن هذا الانقلاب وذبح خيرة البعثيين أمثال محمد عايش وعدنان الحمداني ومحمد محبوب وغانم عبد الجليل وآخرين غيبت الذاكرة أسماءهم ، وإستعرضنا خطابته الذي يقول فيه بأنه سيف بين السيوف وتوقعنا أن مآسي وكوارث ستحل بالشعب العراقي وعندما هم عزيز بالخروج قال أريد الزوادم لأسلم عليهم جاؤوا إلى عمهم فرحين بمقدمه ثم غادر الدار ورافقه إلى حيث السيارة التي أقلته .

قلت في نفسي أن عزيز سيغادر العراق ولن يعود . وهكذا فإني في اليوم التالي وقبل سفره بيوم واحد كنت في داره قال لي جئت إليكم مودعاً فإني لن أعود إلى العراق مادام صدام في الحكم . وإني لم أكشف هذا السر لأحد سواك ، كنا نستمتع إلى الراديو ، وكان جيفكوف سكرتير الحزب الشيوعي البلغاري في زيارة للعراق وقد وصف صدام بالحكمة والقلب مثيلة غيرها فما كان من «أبو عصام» إلا أن قال «تف عليك تصف القاتل بالحكمة إلى هذا الحد يصل التعلق بك، ودعته ، وللأسف الشديد فقد كنت في إستقبال جثمانه مع جمع من اقاربه وجيرانه وبعض أصدقائه . كنت وفتاح حمدون ورأيت عبد الرزاق زبير في إستقبال الجثمان وشارك في التشييع معنا ، كان ذلك في نيسان ١٩٦٠ على ما أتذكر .

لقد غاب هذا الرجل داعية السلام الكبير . فإجأته بطليبي كي يسفر عن مسيرة حياته ، وهو الذي طالما رأيت يتوارى خلف الأحداث والأسماء في كتابه الأخير ليبعد الضوء عن - سالم عبيد النعمان - ذلك الرجل الذي له أكثر من بصمة ، في البدايات المشرقة لتمظهر الحركة الوطنية والديمقراطية في الأربعينيات ؟ .

«كانت الأربعينات سني تحول وإنعطاف في مسار الحركة الوطنية الديمقراطية والقومية ، كان الحزب الشيوعي قد وضع في مقدمة أهدافه ، إستكمال إستقلال العراق وسيادته الوطنية ، إلى جانب تحرير الطبقة العاملة والشعب العراقي ، كانت نوعية التنظيم إلى جانب وضوح أهداف الحزب ، عوامل جذب ليس للواعين من العمال وفئات الشعب بل للطلبة والشباب المثقف ، وكنت أحد الطلاب الذين إنتموا إلى الحزب وأنا في الصف الثاني بكلية الحقوق وأواخر سنة ١٩٤٢ كمرشح ، ثم كعضو في مطلع ١٩٤٣ «الشهر الأول» لقد إنفدعت بنشاط ملحوظ في سبيل تحقيق أهداف الحزب طيلة الأربعينيات وهذه هي هويتي في تلك الفترة ، كان فهد قائداً تاريخياً متميزاً .

هيأت له البيئة الإجتماعية التي عاشها مناضلاً منذ أواخر العشرينات من القرن الماضي ليحتل هذه الميزة ، كان عملاقاً إذا قورن بتلامذته وكان متقدماً على أئداده ، وبفضل قيادته توسع الحزب وحقق إنتصارات في جذب عدد كبير من العمال والطلبة والشباب الواعي . كانت قيادة الحزب وهو على رأسها مندمجة بالحزب وفي مقدمته ، فالنشاط في الحزب والمبدعون منهم موضع إهتمام القيادة وإفساح المجال له في سلم التدرج الحزبي ، وتحرروني كثيراً إذا أعلنت بأن الموقف التي جابهتني في المسؤوليات التي عهدت

الكتابة عن تاريخ الحزب الشيوعي العراقي

محمد علي الشبيبي

لكفاح الحزب)) ولا أريد أن أعلق كثيرا على ما ذكره النعمان، فكل من عمل في صفوف الحزب الشيوعي وخاصة في أيام الرفيق فهد يعرف جيدا لأهمية وضرورة الضبط الحديدي والمحافظة على اسرار الحزب، فكيف يقوم الرفيق حسين الشبيبي عضو المكتب السياسي بكشف الأسرار التي خصه بها سكرتير الحزب لرفيق مهنا كان مركزه الحزبي؛ ربما علاقات الصداقة تسمح بأحداث عامة لاتمس سرية العمل وطبيعة العلاقات الحزبية والتنظيمية السرية، وفي هذه الحالة لاتعد أسراراً حزبية، فلو كتب لا يخفي علي كل ما يعرفه عن تاريخ الحزب لكان مقبولاً ولكن أن يضيف والأسرار التي خصه فهد بها فهذا لا يصدق. ويكتب الأستاذ النعمان في الهامش (٥٣) الصفحة ٢٩٩

ليضيف على ما كتبه عن دور الرفيق الخالد فهد في متابعاته لنشاط وعمل الخلايا والرفاق، فيكتب في الهامش: ((في الأيام التي أدعى فيها الى مقر الحزب وأمكت أكثر من يوم كان فهد يصحبي لمرافقته وأذكر اني رافقته لزيارة خلية لطلاب أكراد من بينهم معروف البرزنجي وحسين البرزنجي وآخرون، إذ كان يهتم كثيرا بالرفاق الكرد لدرجة يشعر البعض ان لهم عنده امتيازاً متفوقاً وحبوة خاصة، كما وزرت معه خلية في الاعضية وقد زرت يوماً برفقة فهد خلية للبنات يجتمعن في دار يوسف زلخة وتحدث فهد البهن عن دور المرأة وواجب الخلية الحزبية، وكانت مسؤولة الخلية حنينة زلخة، شقيقة زلخة، رئيس عصابة مكافحة الصهيونية فيما بعد)). كان الأخرى بالأستاذ النعمان أن يعطينا صورة عن عمله في الحزب ونشاط خليته ومن كان مرجع الخلية الحزبي وهل الرفيق فهد أو غيره من رفاق اللجنة المركزية أو رفاق المحلية أشرفوا على عمل خليته، وأي مركز حزبي وصل، ولا أعتقد حديثاً بالتفاصيل عن خليته أمر خاص مادام قد تحدث عن مرافقة الرفيق فهد لأجتماعات بعض الخلايا . الكتابة في الهامش ان الرفيق فهد أصطحبه لبعض الخلايا في أشرفاته، فهذا يثير مجموعة من التساؤلات، منها هل كان يحدث ذلك دون علم مرجعه الحزبي أو بعلمه، ولماذا أختاره الرفيق فهد؟ وحسب اعتقادي المتواضع أن في ذلك أساءة للرفيق فهد، وأعتقد أن في تصرف الرفيق فهد تجاوز للتدرج الحزبي وأسس العلاقات التنظيمية، التي كان حريصاً على تثبيتها وتعزيزها.

في الصفحة ١٣٠ في مؤلف الأستاذ النعمان جاء: ((في سنة ١٩٤٢ نقل حسين محمد الشبيبي معلماً الى إحدى المدارس الابتدائية في العمارة وكان حسين الشبيبي عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وسع الشبيبي نشاط المنظمة الحزبية ولكن لم يمكث طويلاً إذ استقال في السنة نفسها وسافر الى بغداد لحاجة الحزب اليه. وتسلم المسؤولية مالك سيف.

ويذكر نعيم بدوي أنه حذر حسين الشبيبي من قبول مالك سيف هذا الى الحزب وقد قدم تقريراً وافياً عنه وعن أسباب رفض قبول

أخرى. فأنا ومنذ صغري كانت تردد على مسامعي دائماً في بيتنا أو في بيت جدي الشيخ محمد الشبيبي بعض الأسماء مثل أسم الأستاذ سالم عبيد النعمان، أبراهيم ناجي، محمد حسين أبو العيس، محمد علي الزرقة، جمال الحيدري، حمزة سلمان، جورج تلو وغيرها من أسماء وحتى أسماء عوائل مناضلة كبيت الصفار والحكك والحكيم وغيرها، وأسمع قصص نضال هذه الأسماء والعوائل ودورها في النضال الوطني ومواقفهم البطولية. فكتبت متلهفاً لقراءة ما يكتبه رفيقه وصديقه عن خصال الشهيد، لكنني صدمت لأسلوب الأستاذ النعمان في تناوله للشهيد الشبيبي، وطريقة اختياره لبعض مواقف الرفيق حسين الشبيبي.

المؤلف يتناول دور الشهيد الخالد فهد، وهو بالتأكيد لأبد أن يتطرق لدور رفيقيه أعضاء المكتب السياسي، زكي بسيم وحسين الشبيبي، ولكن ما أثار استغرابي أن الأستاذ النعمان لم يتطرق كثيرا لدور الشهيد حسين الشبيبي وأذا ماتطرق الى الشهيد فأن جل ملاحظاته عن الشهيد سلبية أو يستنتج منها أنطباعاً سلبياً عن الرفيق حسين الشبيبي، وحتى تلك الملاحظات التي يريد المؤلف منها ان تعكس (بعض) إيجابيات الشهيد حسين، نجده يفشل (ويسيء) فيها للشهيد الشبيبي، كقوله في احد الهوامش الصفحة ٢٩٥ (الهامش ٢٣/ج): ((حسين محمد الشبيبي، وعنه انتميت الى الحزب الشيوعي خريف عام ١٩٤٢ كمرشح ثم قبلت عضواً بدء عام ١٩٤٢. كان رفيقاً وصديقاً لايعوض وكان لا يخفى علي كل ما يعرفه عن تاريخ الحزب والأسرار التي خصه فهد بها أيام الستين المبكرة

يكتب أي رفيق عن رفاقه القدماء وخاصة الشهداء منهم أن يكتب عن نشاطاتهم ودورهم وابداعاتهم وشخصياتهم في مختلف المجالات بأيجابياتها وسلبياتها دون أن نغيبهم أو نسيء لهم. فالشهداء فارقونا وهم مضحون بحياتهم من أجل مبادئهم وسعادة الشعب، وعلينا أن نذكرهم بموضوعية وصدق وأن لأنغين حقوقهم، لأننا نحن، من ضحوا من أجلنا، تقع علينا مهمة نشر تاريخهم النضالي، لأن نتناول فقط (سلبياتهم) هذا إذا كانت كتابتنا فعلاً موضوعية في تشخيص خصالهم. وأحب أن أستشهد ببعض ما كتبه الراحل زكي خيري في (صدى الستين) عن الرفيق حسين الشبيبي: ((كان الشبيبي سياسياً كفؤاً وبارزاً ومقدماً بيد انه كان مزاجياً وقد أعلت المشقة بجاناً لا يتزعزع وقال: لي الشرف أن أشق في نفس الساحة "باب المعظم" التي طالما أنطلقت منها المظاهرات الوطنية. (ص ١٣٣)) والمزاجية التي يذكرها الراحل لا تلغي بطولته بل بالعكس أن هذه البطولة والشجاعة التي جعلته يواجه جلاياه لم تترك معنى لمزاجيته وربما تلغيتها، لأنه فضل أن يضحى بحياته دون أن يهان، وبإمكانه ذلك، كما فعل البعض.

وفي ملاحظاتي المتواضعة سوف أتناول بعض ما كتبه الأستاذ النعمان عن الشهيد حسين الشبيبي (صارم، أو كما يدعوه رفاقه "أبو علي")، أملاً منه توضيح بعض التساؤلات والملاحظات المثارة. فأهتامي بجمع المعلومات عن الشهيد حسين الشبيبي دفعتني لقراءة الكتاب بشغف ولأكثر من مرة وتبأتني لمعرفة وتدقيق بعض ما جمعته من معلومات عن الرفيق حسين من مصادر

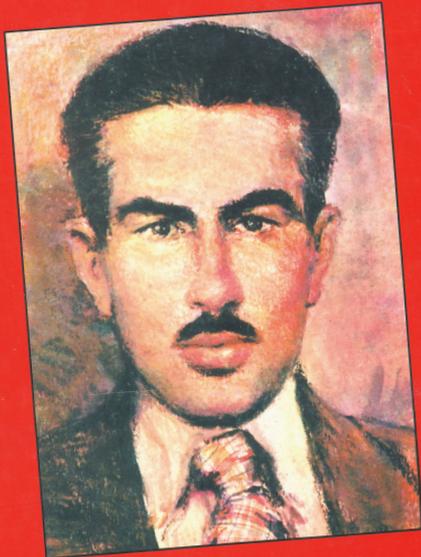
كتابة على الرفيق الشهيد حسين، وما كتبه بصورة خاصة عن دوره (النعمان) بالذات ومحاولة أبرز ذاته في كثير من النشاطات والفعاليات، هذا الأسلوب من الطرح جعلني أعود الى كتاب (صدى الستين) للراحل زكي خيري (كنت قد قرأته قبل أكثر من عشر سنوات)، لأستطلع حقيقة وموضوعية ما طرحه النعمان ورواياته. ولفت انتباهي ان زكي خيري تناول الكثير من خصال النعمان السلبية في السجن، ونشر كتابه (صدى الستين) والنعمان حي يرزق وبإمكانه الدفاع عن نفسه وتصحيح المعلومات الخاطئة والمغالطات أن وجدت. كما أنني سمعت أن بهاء الدين نوري هو الأخر تناول بالنقد الشديد الكثير من خصال النعمان السلبية في السجن، وأيضاً طبع كتاب بهاء والنعمان على قيد الحياة. والأثنان زكي خيري وبهاء الدين نوري أعطى فرصة للنعمان كي يدلي بدلوه لنفي ما كتبه عنه أو تصحيح المعلومات التي أورداها. كتاب النعمان واسلوبه في أستعراض نشاطات حزب التحرر الوطني، ومحاولته تجنب أو إلغاء أي دور للرفيق حسين الشبيبي، ومقابل ذلك إبراز دوره بالذات، يعكس تجزئ الذاتية التي يتمتع بها النعمان وقد شخصها الراحل زكي خيري في مؤلفه (صدى الستين). وأرى من الضروري ان يطلع القاري على بعض ما كتبه الراحل زكي خيري عن النعمان لأن هذا سيساعد القاري لمعرفة كيف يفكر ويتناول النعمان رفاقه القدامى حتى وأن كانوا شهداء غير قادرين على توضيح مواقفهم: ((كنت في سجن الكوت في نفس القاعة التي يدير شؤونها سالم عبيد

النعمان عضو الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني. وكان منظماً صارماً، وبالاحرى بيروقراطياً، بقدر ما يتعلق الأمر بفرض النظام على الآخرين. كان ينام على حشايها دائرة كثيفة ويتدثر بأغطية دافئة وافية ويعصب عينيه عن نور الكهرباء الساطع ويكفل احد الشباب بأن يقرأ له قصة حتى ينام. (ص ١٣٣)) ويتناول الراحل زكي خيري في الصفحات ١٥٣-١٥٦ الكثير من خصال النعمان السلبية، كمحاولاته إخفاء الكتب واحتكار قراءتها وعكسها كحاضرات من إعداده وبنات افكاره دون الإشارة الى مصدرها (ص ١٥٣). ويذكر في نفس الصفحة، كيف ان النعمان كان يحاول (أن يقلد فهد في حركاته وسكناته وحتى في وضع يده عندما يمشي وكانت إحدى يدي فهد مصابة فيميلها قليلاً. لكنه تحاشا كلياً أن يقلد فهد في تعامله مع الرفاق أو في خدمته لنفسه بنفسه أو تواضعه في إبداء المعرفة او في معيشته البسيطة. (ص ١٥٣)). هذه بعض الملاحظات التي وددت نكرها، كي تعطي القاري صورة ويفهم كيف يفكر النعمان برفاقه. أرى من الضروري والواجب الأخلاقي والرفاقي عندما

منذ سنوات وأنا أتساءل لماذا لم يفكر الشيوعيون الأوائل الذين عاشوا الخالد فهد ورفاقه في الكتابة عن الحزب وقادته. ولماذا لم يفكر الحزب الشيوعي من الاستفادة من فترات الحرية في محاوره الشيوعيين الأوائل، بطريقة مدروسة، للنش في الذاكرة وكتابة ذلك التاريخ المجيد والتعرف على نشاطات الحزب وشخصياته القيادية. فالمحاولات المتواضعة التي أبداها بعض المراسلين لصحافة الحزب لمحاوره الأعضاء القدماء لم تكن بالمستوى المطلوب، فجميعها حوارات فردية اعتمدت على جهود المحاور الفردية ولم تكن مدروسة وموجهة من قبل الحزب لكشف بعض الجوانب الخفية في حياة الحزب وشخصياته، حتى جاءت دراسة المؤرخ الكبير الراحل الأستاذ حنا بطاطو لتكشف الكثير من الخفايا، واعتمد الراحل بطاطو في بعض الأحيان على شهادة بعض حونة الحزب أمثال مالك سيف، أو الذين عرفوا في أنشقاتهم عن الحزب أو الذين كانت لهم خلافات ومواقف (عدائية) للرفيق فهد وللحزب، ولم يناقش حنا بطاطو طروحاتهم باعتبارهم حونة أو من هواة الأنشقات أو أن لهم مواقف شخصية، بل ترك ذلك لنباهة القاري، لتصديقه تخريصات من خانوا الحزب أو عدم تصديقه. بالتأكيد أن من خان الحزب وأدت خيانتة الى نكبة كبيرة للحزب سيحاول اختلاق الأكاذيب وتشويه أخلاق قيادات الحزب ليبرر خيانتة وقد تدفعه دائرة التحقيقات الجنائية أيام الحكم الملكي وأخيراً دوائر البعث الصدامي لنشر تخريصاتهم، مثلما نشر باسم سمير عبد الكريم ومالك سيف. ولا أريد هنا مناقشة دراسة الأستاذ حنا بطاطو بالرغم من أنها تعد في نظري من أفضل وأجراً الدراسات المبكرة نسبي التي قدمت عن الحزب الشيوعي في وقتها، بالرغم من احتوائها على بعض المعلومات الخاطئة والغير دقيقة بسبب تعدد وكثرة مصادر، كما اعتمدت مصادر كان من الصعب الوصول اليها منحتها قيمة معلوماتية جيدة.

وفي هذه الأيام أطلعت على كتاب الأستاذ سالم عبيد النعمان الصادر عن دار المدى وبعنوان (الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد). جاء الكتاب مستعرضاً دور الرفيق فهد وعاشوا مع الخالد فهد ورفاقه. والكتاب يستحق التتبع لما فيه من معلومات قيمة عن الخالد فهد ورفاقه، بالرغم من أنها تبق آراء وروايات شخصية للمؤلف، وفي اعتقادي أن العرض لا يخل من موقف شخصي أفقدته موضوعيته في الطرح. وأعتقد وحسب متابعتي عما كتب عن قادة الحزب خلال السنوات الماضية، لم تتناول الكتابات حياة الشهيد زكي بسيم بما يتناسب مع دوره في الحياة التنظيمية ووحدة الحزب وتضحيتها في سبيل مبادئ الحزب، وكل ما كتب عن الشهيد كان متواضعاً. وتناول الأستاذ النعمان بتواضع دور الرفيق زكي بسيم، وكنت أتمنى أن لا يبخل في الحديث بتفاصيل أكثر عن الرفيق الشهيد زكي بسيم، بينما نجده (النعمان) أكثر اهتماماً بابرار دوره. الملاحظات التي أثارها الأستاذ النعمان في

سالم عبيد النعمان



الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد

إعادة تأسيسه واكتمال بنائه ودوره الفاعل في الحركة الوطنية

وأما كانت مصادرهما رفاق وأصدقاء عرفوا الشهيد جيدا مثلما عرفه النعمان. لكن الأستاذ سالم لم يبنز بكلمة واحدة لتوضيح هذه (الحقيقة) طول العقود المنصرمة. يستشهد الأستاذ النعمان بأربعة أشخاص (وهو أستشهاد مضحك ومحزن) ليحاول أثبات هذه (الحقيقة)، وللأسف وأعتقد ان الأستاذ النعمان يعرف جيدا أن جميع الشهود غادروا الحياة معاده أطل الله في عمره. وللأسف أن النعمان عندما يستشهد بالرفاق (ليؤكد) أن الرفيق فهد هو المؤلف، فهو بهذه الطريقة يسيء للرفيق فهد وللرفيق حسين الشبيبي، فهو يحاول في كل كتابه أن يتجنب أي ذكر لأمكنيات الشهيد حسين في الأدب والشعر والكتابات الوطنية. أليس من الحكمة والواجب الرفاقي أن يكتب النعمان عن حقيقة مؤلف الكراس على الأقل بعد ثورة تموز، حينها سيجد ربما أكثر من شاهد وأكثر من مطلع على هذه الحقيقة ليوضح صحة ماينكر وخاصة المناضل محمد علي الزرقه وأبو العيس وحزمة سلمان وأبراهيم ناجي ووالدي وكثيرون طيب الله ثراهم جميعا. يذكر الطيب الذكر المناضل محمد علي الزرقه في مقالة نشرت على موقع (الناس) كتبها الزرقه في دمشق بتاريخ ١٠/١٠/١٩٩٣ ومما جاء فيها عن الرفيق حسين الشبيبي: ((وتعرفت على شاب نجفي أديب وشاعر شديد الحساسية مشبوب العاطفة هو الشهيد حسين محمد الشبيبي، وكان على دماثته وخلقه الرفيع، شديد الثورة سريع الاندفاع، شديد الحرص أيضا على القراءة والتأليف، وكان حماسه يبلغ أحيانا حد الاندفاع وكنت أحب فيه هذه الصفات)). يذكر الراحل خيري في (صدى السنين) ص ١٣٠ كيف أن الرفيق فهد كان يهتم بالرفاق في سجن الكوت: ((... وقد عنى "فهد" بتتقيهم ليس سياسيا فقط ولا بمبادئ الشيوعية العلمية وحدها بل بثقافتهم المدرسية أيضا وباللغة العربية والانكليزية وبالادب العربي خصوصا الذي عهد بتدريسه للاديب المناضل حسين الشبيبي (...)). وحسب رأي الزرقه أن الرفيق حسين أديب وشاعر حريص على القراءة والتأليف، فهو ليس مجرد معلم ابتدائية، كما يحب النعمان ذكرها عن لسان (الكثيرين من الثرثارين والمتخصصين من مؤلفات رفيقه الشبيبي وأمكنياته الأدبية مثلما ذكرها الزرقه وآخرون. وتكليف الرفيق فهد للرفيق الشبيبي معلم الابتدائية بتدريس الآداب العربي، وأختياره دون بقية الرفاق من خريجي الجامعة هي شهادة وأقرار بقدرات الرفيق الأدبية. وفي مقال نشره حسقيق قوجمان على موقع الحوار المتعدد العدد ١٠٦٧ بتاريخ ١٣/١٠/٢٠٠٥ كتب عن دور الحياة الثقافية في سجون العراق ودور الرفيق فهد جاء فيه: ((ولم يقتصر فهد على تدريس الاقتصاد السياسي بل حرص كذلك على تربية محاضرين آخرين في هذا الموضوع فاختار اثنين من اقرب الرفاق اليه واكثرهم ثقافة هما حسين الشبيبي وابو العيس ليكونا مساعدين له في تدريس الاقتصاد السياسي. فكان يلقي محاضرة على جميع السجناء يوما ويطلب من مساعديه ان يعيدوا نفس المحاضرة في اليوم التالي وتقسيم السجناء الى مجموعتين يقوم كل منهما بتدقيق مجموعة (منهما)).

الي هنا نكتفي بمقال الأستاذ الفاضل حمد علي الشبيبي وسنوالي نشر بقيته في الايام المقبلة ملحق (ذاكرة عراقية)... فمعدرة للكتاب والقراء.

وفي رأي المتواضع كان الراحل الجادرجي أستفزازيا في حديثه، والمنطق يدعو أن يدافع حسين الشبيبي عن استقلالية حزب التحرر ولا يتقبل اتهام الجادرجي وليس هذا الوقت المناسب لحديث الجادرجي. وأعتقد أن أثاره هذه التفاصيل بعد هذه العقود وبهذه الطريقة قد يفهم منها البعض الأساءة للشهيد حسين، خاصة أن الأستاذ النعمان في كل كتابه لا يذكر صديقه ورفيقه حسين الشبيبي إلا (بالسلبات)، أليس هذا ماينثر التساؤل والأستغراب!.

ذكر الأستاذ النعمان في كتابه الصفحة ١٦٧: ((وقد أشير دهشة الكثيرين إذا ماكشفت هوية مؤلف "الجهة الوطنية الموحدة- طريقنا وواجبنا"، الحقيقي أنه: الرفيق يوسف سلمان فهد. وما أكشفه الآن هو شهادة للتأريخ بأن فهد هو مؤلف هذا الكتاب وليس حسين محمد الشبيبي، الذي كان موقفا....))

ثم يواصل النعمان في الصفحة ١٦٨ ليوضح الأسباب التي دعت فهد كما يدعي النعمان في نشر الكراس بأسم حسين محمد الشبيبي، فيكتب مايلي:

((وفي ظني أن فهد المتواضع والمتميز بكنران الذات، قد أختار أسم حسين الشبيبي وهو العضو الأقدم في الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني لأن الجهة الوطنية والدعوة المستمرة الى تأليفها ظلت مقرونة بالهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني، فالأجدر أن يصمم العنوان بأسمه وفي هذا أيضا رد على الكثيرين من الثرثارين والمتخصصين من خصوم الحزب الذين كانوا يكثرون من اللغو الفارغ من أن معلما في مدرسة ابتدائية ثانية غير مؤهل لقيادة حزب بين أحزاب رؤسائها من ذو الشهادات العالية..... الخ. والحقيقة التي يجب ان تكون معروفة هي أن جميع الرسائل المعنونة "رسائل التحرر" والتي طبعت بمطبعة دار الحكمة، التي كان يرأسها الصديق محمد علي الزرقا والتي آلت رئاستها الي بعد اسقاط الجنسية عن الرفيق الزرقا، هي من تأليف ووضع الرفيق فهد بضمونها الخطاب في الاجتماعات..... الخ. وهذه الحقيقة يعرفها محمد علي الزرقا مثلما أعرفها أنا جيدا كما يعرفها زكي محمد بسيم وحسين الشبيبي نفسه))

بداية كي لياسه فهمي من هذه الملاحظات على كتاب الأستاذ النعمان وليعرف الجميع، أن جميع الأدبيات الحزبية هي تراث مجيد للحزب الشيوعي ولا يهم من ألّفها بقدر أن ذلك يعرفنا بشخصيات ودور المؤلفين دون أن يغبن حق أحد. وفي الأحزاب الشيوعية والكرات الثورية برز مؤلفون ونشروا مؤلفاتهم وأصبحت مصدرا من مصادر التنقيح الشيوعي، لكن هؤلاء المؤلفون تخلوا عن الفكر الشيوعي وبعضهم تحولوا الى معادين حتى لطرحتهم السابقة، ولكن كتاباتهم السابقة بقت إرثا لأحرابهم. أن ماينثر الدهشة والتساؤل ليس كشف النعمان (حقيقة) مؤلف كراس (جهتنا الوطنية) و (رسائل التحرير) و (بعض الخطب)، وأما التزام المؤلف الصمت المطبق خلال مايقارب الخمسة عقود وعدم أثارته لهذه المعلومة بالرغم من الكتابات الكثيرة عن الكراس المذكور ورسائل التحرر، وأعتبرها من كتابات الشهيد حسين محمد الشبيبي. فمنذ الخمسينات تناولت أدبيات الحزب ونشريات كراس الجهة الوطنية ورسائل التحرر ونسبت للرفيق حسين الشبيبي، وكتب عنها كثيرا في الصحافة والمجلات الحزبية بعد ثورة تموز وفي السبعينات. ولم يكن نسبة هذه الكتابات للشهيد الشبيبي محاباة أو عفويا

الى دراسة منا ولهذا نظوي صفحتها الآن ونؤجل الإجابة عنها الى موعد نتفق عليه " وفعلا فقد تم الاتفاق على اللقاء بعد ثلاثة ايام " وقال دعونا الآن نتكلم في امور عامة، فأحتكر الكلام وحده وقال ان الحكومة اداة بيد السفير البريطاني و اذا استنخيت نوري السعيد وعبد الاله والسفير البريطاني الذين يحكمون البلاد فان باقي مايسمون رجال الحكم هم موظفون تافهون بيد هؤلاء الثلاثة. ثم عرج على الحزب الشيوعي وقال ان اهدافي التي اسعى لتحقيقها هي ابعاد واعمق من اهدافكم، انكم لستم واقعيين وغير مستقلين في الرأي تماما وان كثير من تعاليمكم تلتقطونها من بعيد وانا لا اطعن في وطنيتكم غير اني على خلافكم انظر الى الواقع واتخذ الموقف اللازم في ضوءه، وهنا رد عليه حسين الشبيبي بحدة قائلا أستاذ ماجئنا اليكم للمقارنة بين مواقفكم ومواقفنا وفق تصوركم.

أجاب الجادرجي بانزعاج ظاهر، تعالوا على الموعد ونهض منهييا للقاء. وفي اللقاء المتفق عليه الذي كان قصيرا جدا وجافا قال الجادرجي انه يرى ان الاوضاع غير ملائمة حتى لبحث مذركتم وطلباتكم فيها ولم يدع مجالا لل نقاش. فهل ظل الجادرجي مزعجا من رد الشبيبي الحاد على حديثه ام انه اتخذ منه ذريعة دون ان يحاسب هو نفسه...)) ولا يمكنني مناقشة صحة ودقة ماينقله النعمان بعد هذه العقود والتقدم بالعمر، فهو الوحيد يمكنه نقل مآدار أثناء اللقاء، فالجادرجي رحمه الله كان أستفزازيا في حديثه وأعتبر مذكرة حزب التحرر صادرة من الحزب الشيوعي، وهو الذي قاطع ضيفه الرفيق حسين وأحتكر الكلام وأعتبر المذكورة خارجة من السرداب وهي كلمة اعتادت أجهزة بهجة العطية أستعمالها، وأتهم الحزب الشيوعي بالانقطاع تعاليمه من بعيد وغير مستقل.



يذكر نعيم بدوي أنه حذر حسين الشبيبي من قبول مالك سيف هذا الى الحزب وقد قدم تقريرا وافيا عنه وعن أسباب رفض قبول انتمائه الى الحزب لتقلباته وأنحطاطه الخلقى وقدم الأدلة الثابتة على أبتذاله ونذالته، وكان نعيم بدوي يكرر هذا المنحط سيوقع الحزب في كارثة اذا أنيطت به مسؤولية مهمة)) بداية أن بعض المعلومات التي ذكرها الأستاذ النعمان حول فترة بقاء الرفيق حسين الشبيبي في العمارة غير دقيقة.

مثلها ونحن في الخارج مع وجود الكادر الحزبي المجرّب بكثرة نسيبا ولا نعلم ان كنتم تدركون هذه الحقيقة. حقيقة كونه هو المسؤول وحقيقة وجوب مساعدته ومن اهم شروط المساعدة هو الاطاعة لمن يتولى المسؤولية وتنفيذ التعليمات التي يقول بها مع ادراك ان جميع ما قام ويقوم به كان يعلم منا.....)) هذه هي مقدمة رسالة فهد ورفيقه (حسين الشبيبي وزكي بسيم) الى يهودا صديق الذي حاول وراوغ في تسليم قيادة الحزب الى مالك سيف. ويستنتج من هذه المقدمة أنه هناك قناعة شبه مطلقة بكفاءة مالك سيف، ويؤكد فهد ورفاقه على أن الأيام قد برهنت على كفاءته وأن أختيارهم كان صائبا. ثم أن مالك سيف أصبح عضوا في اللجنة المركزية قبل اعتقال فهد ورفيقه، وكان أحد مندوبي الكونغرس الحزبي الأول، واحد مندوبي الحزب في المؤتمر الأول. ولا أعتقد أن كل هذا تم بتأثير ورغبة حسين الشبيبي، وليس الرفيق حسين لم يتمكن من اكتشاف أنحطاطه ونذالته خلال سنوات عمله كعضو لجنة مركزية وأما حتى رفيقه (فهد وزكي)، لأننا في هذه الحالة سنلغي دور سكرتير الحزب (فهد) بينما المؤلف في كل كتابه يبرز الدور والحنكة لدى فهد وهذا مالا أعترض عليه لولا مبالغته في أحيانا كثيرة، بحيث الغى ومسح دور الآخرين، وأساء بهذه المبالغة لقيادة فهد. ومن يقرأ كتاب الخائن مالك سيف "للتأريخ لسان" والتخرصات الحاقدة والكاذبة التي يثيرها للأساءة لقيادة الحزب وخاصة للرفيق حسين الشبيبي نفهم كم كانت العلاقة بينهما (الرفيق الشبيبي والخائن مالك سيف) على غير مايريد النعمان تصويرها. ولا بد من الإشارة الى أن هناك أمثلة كثيرة مشابهة في خيانة بعض الكوادر والقيادات الحزبية، فهادي هاشم الأعظمي عضو اللجنة المركزية كان يلقب بأسد السجون، بينما أدت خيانتته الى اعتقال الخالد سلام عادل ورفاقه وتصفيتهم بالتعذيب، فلا يجوز تحميل شخص مسؤولية تقديم أحد أعضائه وخاصة في أيام قيادة فهد لأنه كان يتأنى في ذلك ويدرس تجربته ونشاطه. ونسي الأستاذ النعمان أن أحد أقوى وأكبر التنظيمات للحزب الشيوعي في العراق في مدينة النجف، ويعود الفضل في ذلك الى الرفيق حسين الشبيبي لأنه هو أول من أسس الخلايا الحزبية الأولى في المدينة، وقاد محليتها الى أن نقل الى العمارة بسبب النشاط الحزبي الذي حرك أجواء المدينة المحافظة وبسبب كتاباته عن الفساد الإداري والمشاكل الاجتماعية، والتي كانت تنشر في جريدة الحزب. ويمكن القول أن خياره لخلاياه الأولى في النجف خرجت قادة للحزب وأبطالا، كالشهداء سلام عادل سكرتير الحزب وحسن عوينه وغيرهم.

تناول الأستاذ النعمان ببعض التفصيل في الصفحتين ١٤٤ و ١٤٥ الحديث الذي دار بين الجادرجي وحسين الشبيبي، أثناء تسليمه مذكرة حزب التحرر الوطني، بحضوره ومايلي ماكتبه النعمان: ((... سلم حسين الشبيبي مذكرة الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني التي تدعو الجادرجي للعمل على تشكيل جبهة موحدة تضم كافة القوى الوطنية وبدا الشبيبي يوضح أهمية العمل الموحد فقاطعه الجادرجي قائلا: أني أشم في هذه المذكرة رائحة "السرداب" وقرب المذكرة من أنفه وأبتسم ضاحكا وسألنا ... اليس كذلك؟ فلم نجبه وواصل حديثه ... هذه المذكرة الخارجة من السرداب يقصد فهد بالذات والعمل السري" تحتاج

انتمائه الى الحزب لتقلباته وأنحطاطه الخلقى وقدم الأدلة الثابتة على أبتذاله ونذالته، وكان نعيم بدوي يكرر ماورد في تقريره ويتنبأ بأن هذا المنحط سيوقع الحزب في كارثة اذا أنيطت به مسؤولية مهمة)) بداية أن بعض المعلومات التي ذكرها الأستاذ النعمان حول فترة بقاء الرفيق حسين الشبيبي في العمارة غير دقيقة. من ناحية لا يمكنني الجزم في تاريخ التحاق الشهيد الشبيبي بالتعليم في العمارة، هل كان مع بداية عام ١٩٤٢ أو في أواخره، ومن خلال متابعتي لبعض روايات الوالد وتسلسل الأحداث وما ذكره المؤرخ حنا بطاطو يستنتج ان الرفيق حسين الشبيبي نقل في أواخر العام ١٩٤٢ أي مع بداية العام الدراسي. وفي حوار لوالدي طيب الله ثراه نشر في طريق الشعب بمناسبة الذكرى ٢٥ لأستشهاد الرفاق فهد، حازم وصارم، يذكر والدي أن الشهيد حسين اعتقل في العمارة وأستلم "والدي" برقية في ١٩٤٣/٦/٩ تقول: (أوقف حسين وأرسل مغفورا). وهذا يعني ان الشهيد بقي في العمارة حتى النصف الثاني من عام ١٩٤٣. كما أن استقالة الشهيد حسين جاءت بعد نقله الى قرية المشرح بقصد مضايقته والحد من نشاطه فأضطر للأستقالة والتفرغ للعمل الحزبي. أما بخصوص مالك سيف ورأي الراحل نعيم بدوي، وقد أثارها الأستاذ النعمان وكأنه يريد القول بأن الشهيد لم يعر أننا صاغية لملاحظات رفاقه وكان يتصرف على هواه وهذا ما أدى الى نكسة الحزب والمأساة التي سببها الخائن مالك سيف، وربما يهدف الأستاذ النعمان تحميل (أو هكذا يفهم من طرحه) الرفيق حسين الشبيبي مسؤولية تقديم مالك سيف وماسببه من نكبة للحزب بخيانتته. مع العلم أن مالك سيف عضوا في الحزب منذ عام ١٩٤١ حسب ما ذكره المؤرخ الراحل حنا بطاطو في الجدول ٣-٩ الصفحة ١٧٦، أي قبل انتقال الشبيبي للعمارة. ولا أدري لماذا تثار مثل هذه (المعلومات) الآن بعد أن فارق الحياة الأستاذ نعيم بدوي! ولم تثار خلال العقود الماضية! أما تقييم مالك سيف فقد اختلف فيه الكثيرون، بما فيهم والدي، يروي والدي بعد عدة لقاءات مع مالك سيف بحكم العلاقة الحزبية (كان والدي حينها مسؤول محلية النجف) وصل والدي الى قناعة بعدم جدارة مالك بالمرکز الحزبي إضافة الى ضعف في صلابته وضعف معنوياته ومحاولاته المستمرة أنتقاد أسلوب متابعات الرفيق فهد ورفاقه لعمله والتشهير بهم، ويروي والدي أنه أبلغ الرفاق بالسجون بملاحظاته هذه عن طريق عمتي وسيلة رحمها الله، لكن الرفاق لم يعيروا النقاش لهذه الملاحظات. وعلى ما يظهر أن الرفاق فهد وزكي وحسين كانوا جميعهم على قناعة بمالك سيف، وهذا يمكن أستنتاجه من صيغة الرسالة التي ثبت المؤلف نصها في الصفحة ٣١٧ من كتابه الموجهة الى يهودا صديق (ماجد) المؤرخة في ١٧-١٠-١٩٤٨ حول مالك سيف (كمال) وأمور الحزب الأخرى، وفيها يحدد فهد ورفاقه (زكي وحسين) موقفهم من اسناد مسؤولية الحزب لمالك سيف: ((أنا قبل سنة طلبنا مجيء كمال المقصود مالك سيف" الى بغداد وأسناد المسؤولية إليه ولماذا فعلنا ذلك؟ لأننا كنا نرى فيه التضيق السياسي الكافي والصفات الأخرى التي تؤهله لقيادة الحركة في مثل هذه الظروف وقد برهنت الأيام على أننا مصيبين في أختيارنا له وقد سارت الأمور وفق مناشئته اللهم إلا في أمور لا بد من حدوثها في مثل أوضاعنا وقد يحدث

الأهمية التاريخية في مؤلفات سالم عبيد النعمان

سالم أحمد

عضو اتحاد المؤرخين العرب



النعمان في حديقة داره

الشيوعي العراقي بقيادة فهد إعادة تأسيسه واكتمال بناءه واكتمال دوره الفاعل في الحركة الوطنية [المطبوع عام ٢٠٠٧م من قبل مؤسسة المدى معالم ومضامين هذا الخط السياسي في الوثيقة التاريخية التي عرفت وقتها بالبيعة المشروطة .

والجدير بالذكر ان الذين خطوا هذه الوثيقة التاريخية هم المنقحون ابناء المجتمع المدني والملا البغدادي والكاظمي الذين دعوا إلى هذا الاجتماع الرسمي وتحذوا سلطة الاحتلال بوثقتهم هذه المعبرة عن طموحات الشعب العراقي واهدافه ، وقد حظي هذا الاجتماع التاريخي برعاية وارشاد ودعم من الشيخ العلامة مهدي الخالصي رجل الدين الحضاري المستنير الذي قاد الحركة الوطنية ووقف وجها لوجه ضد الاستعمار وسارت الجماهير العراقية وراء قيادته بأسلوب النضال السلمي ، الذي كان في مقدمة المباردين له ، وتحت قيادته الشجاعة والجريئة التي رفضت ابرام معاهدة الاحتلال عام ١٩٢٢م من خلال اسلوب الكفاح السلمي عن طريق المظاهرات والاجتماعات والعرائض الانتخابية المجلس التأسيسي المكرس لابرام معاهدة الاحتلال ، ولم يهدأ الاستعمار وصنيعته الحكومة الا بالتخلص من هذا القائد الكبير ونفيه خارج العراق في حزيران عام ١٩٢٣م . وتمثلت اساليب النضال السلمي ببحث الوعي بين الناس باتجاه أسلوب

كما عالج الباب الأول أيضاً الغزو الاستعماري البريطاني للعراق الذي ابتداء من ٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤م فصار العراق ميداناً للمعارك بين الإنكليز والأتراك وما جر ذلك على العراقيين من الأم الحرب وويلاتها وما رافق تلك الحروب من قحط وغلاء أسعار وكلها قد تحملها العراقيون المعتدى عليهم .

والباب الثاني : عالجت فصوله الصراع بين الشعب العراقي والحركة الوطنية من جهة وبين الاستعمار البريطاني من جهة أخرى ابتداءً من العشرينات فقد فرضت القوى الاستعمارية بالقوة معاهدة الانتداب والاحتلال عام ١٩٢٢م ولغاية الثلاثينات من القرن المنصرم ، حيث تبني الشعب العراقي اسلوب الكفاح السلمي الذي أملاه أخفاق ثورة العشرين لعدم توازن القوى بين الاستعمار البريطاني المسلح باحدث الاسلحة والعدد الفتاكة بقيادة عسكرية مجرية تجاه شعب مكافح يرفض الاستسلام وليس له قيادة موحدة ، ولقد لخص مؤتمر الكاظمية المنعقد سنة ١٩٢١م برئاسة الشيخ مهدي الخالصي رفضه للانتداب وما يعنيه هذا الكفاح السلمي في فضح الاستعمار وأساليبه بعد دراسة لتوازن القوى التي حسمت ثورة العشرين إلى ان النهج السياسي الذي يجب ان يتبناه هو اسلوب الكفاح السلمي ضد المستعمر ، وطور هؤلاء الرجال العظام كما يذكر الاستاذ سالم عبيد النعمان في مقدمة كتاب [الحزب

التاريخية تتطلب أكثر من مجلد لمن أراد التوسع ، وأظن أن العرض الموجز فيه الكافية ، ولقد أجتهدت أن أجمل هذه المراحل في أبواب ثلاثة .

الباب الأول : يبدأ منذ الانقلاب التركي عام ١٩٠٨م وينتهي بتوقف ثورة العشرين المجيدة ، ففي تلك السنة ١٩٠٨م بدأت حركة النهضة العربية في تنظيماً ونوادي ومنتديات أقرب إلى الحياة الحزبية ، ثم تطورت إلى أحزاب ومناهج وأهداف متخذة من التيار العربي قاعدة لايدولوجية نابذة الرابطة الدينية كأيديولوجية لنشاطها السياسي أو أشراك الدين السياسي في الحكم ، كما توضح في خطباء أفكار المؤتمر العربي المنعقد في باريس عام ١٩١٣م والذين أكدوا بان النزعة الدينية التي تتستر بها الدولة العثمانية للشعوب الراضحة تحت حكمها قد فشلت في حل الخلاف الذي حدث بينها وبين الدولة الفارسية (الإيرانية) على الحدود وهما دولتان إسلاميتان تحكم شعوبها باسم الدين ، وقد جر هذا الخلاف إلى مآسي وحروب شملت الشعوب الإسلامية المجاورة وبخاصة في العراق ، كما فشلت الأيديولوجية الإسلامية وعمقت الخلافات في كل بلد إسلامي حكمته ، وخلص مؤتمر باريس على لسان خطبائه من أن للعرب حق أمة لها كيان قائم بذاته حق شعب له الحق في تقرير مصيره في الاستقلال والسيادة الوطنية والانفصال عن الدولة العثمانية .

العمل السياسي فضح السياسات الخاطئة ونوايا وممارسات الاستعمار البريطاني ، وفساد السلطة الحاكمة وانابها من الانتهازيين والمتلونين ، الساعين في توعية الشعب بحقوقه ومصالحه الحيوية ، ونشر الثقافة العامة ، وتبسيطها للعموم الشعب ، وتشجيع الأدباء والشعراء في نتاجاتهم الأدبية ل طرح معاناة الإنسان العراقي والتعريف بالثقافات الأجنبية من أجل رفع مستوى الوعي السياسي العام ورفع الحس والتذوق الأدبي والفني .

وكل هذا نستطيع أن نلخصه كما وصفه أحد أبناء العراق من جيله ورفاقه بقوله [كنا دراويش في الإخلاص والحب للوطن والحزب [الدراويش هنا تأتي بمعنى التفاني وتكران الذات في حب الوطن والشعب والإخلاص لقضاياها ، والسعي والعمل لرفع مستوى الحياة العامة وبالتالي رفع مستوى مفردات الحياة اليومية للإنسان العراقي بشكل إنساني وليس مصالح شخصية ضيقة أو مصالح طبقة أو فئة صغيرة على حساب المجموع ، من خلال الإيمان بالفكر السياسي لحزبهم والالتزام بأنظمتهم الداخلية وأساليب عمله السري والعلني بين الناس .

ونقرأ في كتابه [نصف قرن من تاريخ العراق] والذي عرض موجز لتاريخ الحركة الوطنية العراقية من سنة ١٩٠٠م ولغاية ١٩٥٨م) والصادر من مؤسسة المدى عام ٢٠١٢م ويذكر في مقدمة كتابه هذا : الواقع ان الدراسة

شيء رائع وجميل ان تستذكر وتحي جريدة المدى الغراء رموز العراق من الرجال والنساء الميامين ومن مختلف مجالات الحياة من الفكر والسياسة والفن والأدب ، أولئك الصادقين مع أنفسهم ومع الآخرين ، يعتززون بما يؤمنون به ، ولكنهم لا يحتقرون ولا يلغون من يختلفون معه في الرأي والفكر ، ومنهم المستهدين بالنظريات العلمية في تفسير وتحليل الأمور والأحداث ، لا يناقشون ولا يتلونون ، وهذه سمة مع الأسف نفتقدها الآن .

ونحن هنا في هذا العدد نستذكر رجل رحل عنا قريباً وهو الاستاذ سالم عبيد النعمان وهو يعد من الرجال الذين يقف المرء عندهم بالاحترام والتقدير رغم الكثير من نقاط الاختلاف والتقاطع معهم بهذا الجانب أو ذاك ، ورغم أنني لا أعرف الكثير عن تفاصيل حياته السياسية والمهنية الطويلة ، ولكنني عرفت أنه من الشيوعيين العراقيين القدماء ، انه من الأوائل الذين وهبوا حياتهم وفي عز شبابه لهذا الحزب العراقي العريق ، ذو التاريخ النضالي الوطني والمبدئي المجيد في الحياة العراقية .

رجل من الرجال الذين بدأنا نفتقدهم في الحياة المعاصرة ، على صعيد الحياة العامة في احترام الآخرين سواء عدم التجاوز على مخالفيهم في الرأي ، عدم سحق إنسانية الآخرين ، العفة والنبل وسمو الخلق رغم الإشاعات والقصاص الملققة عنهم ، وعلى صعيد

رحل سالم عبيد النعمان... فهل وفينا؟

طارق الجبوري

ما زال الكثير منا نحن جيل "الأمل والحلم" والإنكسارات يستذكر نماذج لساسة كبار كرسوا حياتهم لخدمة ما يؤمنون به وضحو بالكثير من أجل شيء كبير اسمه الوطن والشعب وأمنوا أنهما واحد... بعضهم فارق الحياة قبل أن يرى أو يلمس رياح التغيير تبشر بالجديد الآتي، وآخر امتد به العمر ليرى هذا التكاليف المشين على المنافع وتزييف الشعارات والتلاعب بالمبادئ، فأترعدم دخول هذا السباق رافضاً ما أتاحت له من فرص التمتع بمنافع الوضع الجديد والسلطة، لكنهم لم ينسحبوا من ساحة العمل فاجتهدوا لممارسة دورهم في تصحيح ما آلت إليه الأوضاع فبقوا قامات سامقة أمام شعبيهم ممن لم يخدمه زيف الشعارات. مثل هؤلاء نادرون لكنهم مؤثرون لأنهم قدوة تعلمنا منهم أن نفرق بين صدق المبادئ وزيفها، وأن لا نفقد الأمل أبداً ومنهم تلك الرمز الوطني الكبير سالم عبيد النعمان الذي رحل مخلفاً إرثاً من القيم الكبيرة جسدها في سيرة حياة حافلة بالأمل والتفاؤل رغم كل الانتكاسات التي مرت بها التيارات الوطنية وذاق هو وآلاف غيره مراراتها. قد لا يكون هنالك ما يمكن أن نضيفه بعد كل تلك الكلمات والجمل المعبرة التي سطرها الأستاذ فخري كريم ونشرتها الجريدة في الخميس الثالث والعشرين من هذا الشهر بحق هذه الشخصية، وقد لا تكون هنالك مناسبة غير تلك الوصية التي تركها لنا ربما لنعتبر بمعانيها وصية من عدة كلمات طلب فيها أن يوارى ثراه في إقليم كردستان ليجسد من خلالها أنصع صور الإيمان بوحدة الوطن وشعبه بعيداً عن ضجيج الأديعاء والمنتفعين وشعاراتهم الكاذبة، لكننا كجيل مكلوم عاش عذابات الضمير أحياناً، وصحاً متأخراً على زيف الانتصارات الوهمية، أحوج ما نكون إلى أن نتوقف عند أمثال سالم عبيد وسجايهم، علنا نقرب بعض الشيء منهم، كما أنه قد يكون بعض وفاء. فنحن وغيرنا ممن يعيش زمن المزايدات السياسية وتزييف المبادئ والقيم، نحتاج إلى هؤلاء علنا نصمد ونصبر لتصحيح معادلة غريبة تسيدت فيها تيارات وشخصيات لا تجيد غير الكذب فهيمت على ساحة العمل السياسي بعملية أشبه ما تكون بالتنويم المغناطيسي للملايين المسحوقة، مجاميع استمرت اللعبة فتطاولت على القانون والدستور وانتهكت الحقوق وتلاعبت بالمال العام... زمن غريب لا يصلح لتقييمه كما لا عرفناه من مقاييس... زمن صار فيها الوطني الحقيقي غريباً ومهمشاً في وطنه والتمسك بالمبادئ "كماشك جمره من نار". لا أعرف الراحل سالم عبيد شخصياً ولم ألتق به ولكني قرأت له وسمعت عنه، وعرفت من أمثاله الكثير ممن جاؤوا وشرّبوا وضائق بهم سبل الحياة، لكنهم لم يخونوا مبادئهم ولم يهادنوا فظلوا كباراً في الضمائر وحاضرين في نفوسنا عند كل كبوة تصيبنا وما أكثرها في هذه الأيام، لذا يعز علينا كثيراً أن نرى بعد كل ما قدمه هؤلاء البانلون الصادقون من يتجرأ ويحاول تقسيم الوطن بمسلمات وتبوعات ما عرفها العراق طيلة نضاله الوطني حتى في أحلك الظروف. نعرف أن سالم عبيد وأمثاله أكبر من كل كلماتنا، لكنها مرة أخرى تعبير وفاء ومواساة لنا كمؤمنين بالتيار الديمقراطي عسى أن تعيننا لننتصر لأنفسنا ونزيل هذا الضعف البادي فيها.

فهل وفينا؟ لا أعتقد!

الصادر بعد القاء قبيلتين نوويتين على هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين من قبل أمريكا وصدور نداء استوكهولم الداعي للسلام، ومن ثم عقد اتفاق مبدئي مع طه الهاشمي رئيس حزب الجبهة الشعبية وكانت خطوة إيجابية وبداية لقيام حزب أو أكثر بهدف تكوين جبهة موحدة وساعدت أحداث فوز الدكتور مصدق في إيران وقيام الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر في مصر ومن ثم انعقاد مؤتمر باندونغ الذي كان نقطة تحول أساسية لصالح الحركة الوطنية العراقية وفي مجرى هذا الصراع اتخذت الحركة الوطنية تكتيكاً جديداً هو العمل بجدية على تشكيل جبهة وطنية موحدة توحد الأحزاب الوطنية في جبهة واحدة وهذا ما حصل في ابتداء تشكيل حزب المؤتمر الوطني في ١٦ حزيران عام ١٩٥٦م الذي انعقد بين حزبي الوطني الديمقراطي والاستقلال وابعده انعقاد الكونغرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي في ايلول عام ١٩٥٦م حيث توحدت قبله تنظيمات الحزب الشيوعي المنقسمة على نفسها بعد ان حلت نفسها وانخرطت في الحزب الشيوعي الام [منظمة راية الشغيلة ومنظمة وحدة الشيوعيين برئاسة عزيز شريف] .

وكان العدوان على مصر بداية انتفاضة سنة ١٩٥٦م التي كان لها أهمية كبرى فضلاً عن كونها كانت تأييداً لمصر ضد العدوان الامبريالي كانت في الوقت نفسه تنادي بسقوط النظام الملكي وسقوط حكومة نوري السعيد وتحرير العراق نهائياً من حلف بغداد والأحلاف الأخرى، وقد تميزت هذه الانتفاضة بانديفاع جماهيري تخطف الأحزاب الرسمية المجازة اذ لم تكن بغداد وهي قلب الحركة الوطنية ومركز قيادة القوى السياسية هي السباقة بل كانت المدن العراقية قبلها هي المحرك الاول للانتفاضة وربما تكون مدينة النجف هي المبادرة الاولى ومدينة الحي هي التي استجابت فوراً لها ثم انتشرت هذه الانتفاضة المندفعة في اماكن اخرى في الجنوب والوسط والشمال، وكان الحزب الشيوعي العراقي هو السباق في الالتحام بهذه الانتفاضة فوراً اذ شارك كادره الجرب بنسلم القيادة المبكرة في النجف إلى جانب القوى القومية والدينية فيها، وكان لاستغلال نوري السعيد الوضع وايغاله في سحق الانتفاضة دون ان يعجبى بالقتلى الذين سقطوا في النجف وفي الحي أو في غيرها الأثر الذي كشف انعزال هذه الحكومة وهشاشتها وضعفها وكذلك اظهر عجز حلف بغداد امام هذا الاندفاع الجماهيري الذي لا حدود له، ومن نتائج هذه الانتفاضة وحركة الشعب العراقي التحاق عدد من الضباط الكبار [الضباط الاحرار] والانتفاء إلى التنظيم العسكري الذي كان المنتمون فيه لاحقاً وسابقاً يتسابقون في احراز قصب السبق في اقتحام قلعة الحكم واسقاط النظام الملكي بعد ان اثبتت انتفاضة تشرين بان هذا النظام سائر في طريقة إلى الزوال، لانه لم يعد يمتلك مقومات البقاء مما سهّل على حركة الضباط الاحرار بمساندة جبهة الاتحاد الوطني مجتمعة في اسقاط هذا النظام وعلان الحكم الجمهوري.

العرائن الاحتجاجية التي تفضح جرائم الاعتداء البريطاني على أبناء الشعب العراقي وأسلوب الاجتماعات والتجمعات والإضراب والتظاهر في جميع الاماكن المتاحه كاجوامع الحسينيات وبيت الوعي بين الناس بعد ان لجأ الاستعمار إلى منع الصحف الوطنية والغاء أجازاتها لقتل الحركة الوطنية، فكانت العشرينات التي تميزت بكفاح النوادي والمنتديات بكل الوسائل والسبل من أجل إنهاء معاهدة عام ١٩٢٢م وتحقيق الاستقلال الوطني وطرد المحتل البريطاني فكانت النوادي في بغداد والموصل والبصرة آليات مؤثرة لهذا الغرض النبيل.

أما الثلاثينيات فقد تميزت بأحداث مهمة لعل أهمها ابرام معاهدة سنة ١٩٣٠م الاستعمارية الجائرة وظهور الفوارق الطبقيّة بشكل واضح بين فئات الشعب العراقي فقد صدرت قوانين تصب في مصلحة الشيوخ والإقطاعيين كقانون التسوية وقانون الزمة التي وسعت أملاكهم ونفوذهم وصدور قانون الاستهلاك الذي نقل عبء الضرائب على المستهلكين وخفض من عبئها على المستثمرين ثم قانون حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣م الذي الزم الفلاح بالبقاء في الارض التي يزرعها لصالح المالك ما لم يحصل من المالك على وثيقة تثبت براءته من دين لهذا المالك ليكون أشبه بالقرن في القرون الوسطى.

كذلك تميزت الثلاثينيات في انقسام الطبقة الحاكمة على نفسها، بعد وفاة الملك فيصل الاول والعصيانات والتمردات والثورات الفلاحية ضد وزارة الهاشمي ثم انقلاب بكر صدقي الذي حدث بمساعدة جماعة الاهالي بايدولوجيتها التقدمية التي كانت غطاء لهذا الجنرال المنعطف للدماء! واستقالة جماعة الاهالي فيما بعد أعقبها اغتيال بكر صدقي على يد السفارة البريطانية وسيطرة العسكريون القوميون على الحكم وحدثت الحرب العالمية الثانية التي عملت على فك الحلف بين القوميين العسكريين ونوري السعيد.

وتضمن الباب الثالث: الحديث عن فترة الأربعينيات والخمسينات من القرن المنصرم ولعل من أحداث هذه الفترة ظهور الحزب الشيوعي العراقي الذي قاد مرحلة الاعطاف والتحول الديموقراطي في الحركة اليسارية بالعراق التي تمخضت عن تأليف العديد من الأحزاب مستفيدة من مجريات الحرب العالمية الثانية وتطوراتها، وبراعة قيادة مؤسس الحزب الشيوعي فهد الذي بنى حزبه على أسس علمية واقعية مسترشداً بالنظرية الماركسية اللينينية كدليل للعمل والواقع العراقي وبيئته اساساً للنهج الوطني حيث ظل وحده يقود الحركة الوطنية طيلة ايام الحرب العالمية الثانية حتى اعلان تشكيل الاحزاب السياسية عام ١٩٤٦م وقد استأنست الاحزاب الوطنية به في مناهجها الوطنية عند تأسيسها.

وتميزت الخمسينات بصراع حاد بين الحكومة العراقية ومن ورائها الامبريالية العالمية كحلف الاطلسي وتابعه حلف بغداد وبين الحركة الوطنية المتمثلة بتشكيل حزب الجبهة الشعبية الذي اسسه الموقعون عام ١٩٥١م على بيان الحياض السلام

سالم عبيد النعمان الذاكرة الحية التي أرخت نضال الشعب العراقي

زين أحمد النقشبدي

التي لا شكل لها .

ولكن مريدية أو السياسييين الليبراليين الذين تحدثوا إليه وجها لوجه يقولون أنه عندما كان الأمر يتعلق بشرح إحدى نقاط العقيدة أو توضيح خط سياسي فإنه كان أقل بخلا بالكلمات ، وكان على مدير الأمن بهجت العطية ان يقاطع فهد ذات مرة بعد اعتقاله في عام ١٩٤٧م محتجا بأنه ليس مهتما باعتناق الشيوعية ، وفي وقت لاحق ذكر العطية لبطاطو ان لدى فهد حجج اقناع قوية وله موهبة تفسير الامور بطريقة واضحة وبسيطة وأضاف مع ذلك لم يكن فهد يمتلك ثقافة واسعة جداً ، ويشارك الكثير من رفاق فهد رأيه هذا في فهد ، و اذا كانت كتاباته تشكل برهانا فإنه يبدو وكأنه استوعب افكار ماركس وليدلين أكثر من أي شيوعي عراقي آخر .

وقد أكد لي الأستاذ النعمان خلال اللقاءات العديدة التي التقينته بها ودار الحديث فيها عن مؤسس الحزب الشيوعي ودوره وما كان يمتلكه من مؤهلات وتأبيده لما أورده بطاطو في هذا الشأن .

والإشارة الثانية للأستاذ النعمان في ص ١٨٨ من نفس الجزء المترجم وكانت حول (النضال الثوري) فبعد ان أصبح فهد سكرتيراً عاماً للحزب في تشرين الاول عام ١٩٤١ .

ففي عام ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٤٦م وبعد قليل من أقامت اذربيجان المستقلة ذاتياً وجمهورية مهاباد الكردية في المنطقة التي يحتلها السوفييت من إيران المجاورة ، وفي أجواء تعمق الاستياء بالارتفاع المستمر لتكاليف المعيشة واستمرار انكار الحريات السياسية عاد فهد إلى توجيه سياسة الحزب بحدة باتجاه اليسار ، وأكد بوضوح ان الطريق [الصحيح لحركة تحريرنا الديمقراطية هو طريق النضال الثوري] وان الاعتماد على تحريك وعي وزرائنا أو وعي الاستعمار البريطاني لن يقودنا خطوة واحدة إلى الامام باتجاه تحقيق اهدافنا وكان الحزب قد عاش كل الوقت يعمل سراً وبكلمات أخرى فان صيغة وجوده نفسها كانت صيغة وجود ثوري ولكنه وضع المبدأ الثوري على الرف منذ العام ١٩٣٥م وهجر حتى الكلام الثوري ولهذا فان الملاحظة التي أدلى بها الان بدت جديدة كلياً ولكن الدعوة إلى النضال الثوري لم تتمخض عن شيء ملموس في ذلك الحين وسرعان ما انحرفت أفكار الحزب نتيجة لأحداث استثنائية وغير متوقعة ، وبدأ ان نفحة من الليبرالية كانت تتحرك عند القمة القائدة في النظام الملكي ولم يكن الوصي غافلاً عن حالة الشعور العام أو عن حقيقة ان السلطة الملكية لا تستند إلى أكثر من أساس سياسي ضيق ويبدو أنه بدأ يفكر في تجميع العناصر الأكثر وعياً من أبناء الطبقة الوسطى حول التاج بمنحهم حصصاً محدودة من الجسم السياسي وتنفيذ اصلاحات اقتصادية واطلاق الحريات الدستورية وقطع الوصي عهداً على نظامه بالسير في هذا الطريق في خطاب غير اعتيادي

في القرن الماضي ، وكنت قد سألت الأستاذ النعمان في إحدى المرات بعد عام ٢٠٠٣ عن مدى مصداقية المعلومات التي أوردها حنا بطاطو في كتابه وخاصة ما يتعلق بالحزب الشيوعي فأجابني بأنه كان أميناً في نقل المعلومات ونكياً في الطرح وفي توظيف المعلومات التي حصل عليها ، وبخصوص الاشارات التي وردت في الكتاب المترجم من قبل غيف الرزاز والصادر في ثلاث مجلدات والمتعلقة به ، قال لي الأستاذ النعمان : ان ما أورده عني صحيح ولكن هناك بعض الأشياء البسيطة المعروفة من قبل العراقيين اشتبه بها بطاطو وهذا شيء غير مهم إذا ما قورن بالدراسة الممتازة والمتميزة التي قدمها لنا هذا الشخص وبخصوص السر الذي كان وراء فتح كل البواب المغلقة ووضع كل المعلومات والمصادر التي يسبق لأحد من العراقيين أن أطلع عليها فكيف مع غير العراقيين من السجلات السرية لمديرية الأمن العامة وملفات الشرطة السياسية وتقارير الاستخبارات البريطانية والعراقية وأدبيات شيوعية كثيرة ونادرة ، اضافة إلى السماح له باجراء العديد من اللقاءات مع الكثير من القيادات اليسارية والشيوعية خاصة واعطائها الحرية في الحديث دون أي قيد أو شرط ، واجراء اللقاءات مع من يشاء من قادة الاحزاب والمفكرين والمعتقلين في السجون ، كل هذه الاشياء تضع كل متابع أمام تساؤلات عديدة وكثيرة أهمها لماذا سمح لهذه الشخصية بالذات في تلك الفترة [أثناء تولي العديد من حكام البعث الحكم في العراق] بكتابة هكذا دراسة ، وفي نفس الوقت كانت الرقابة تمنع دخول كتب أو تداول صحف أو مجلات

المنير لكل من أراد المسير في هذا المشوار ، ولصاحب كل قرار . ومن الشخصيات التي أسعدت كثيراً عندما التقيت بها الأستاذ مرحوم سالم عبيد النعمان الذي كنت قد سمعت به أول مرة واثار اهتمامي ما ورد في الحديث عنه من كلام ، أثناء زيارتي للدكتور كمال مظهر أحمد في مكتبه في كلية الآداب / قسم التاريخ - جامعة بغداد في تسعينات القرن الماضي عند حديثه عن الرموز الأحياء من الحركة الوطنية ، ان كان حينها الدكتور عادل تقي البلداوي يعمل على رسالة الماجستير عن الحزب الوطني الديمقراطي وشاءت الصدفة ان جاء بعد ذلك إلى شارع المتنبي يبحث عن كتب فالتقيته أول مرة وجها لوجه ، وقد انبهرت بما كان يحمل من خلق وثقافة ومعلومات وأطلاع وتحليلات علمية واقعية وأراء جريئة عن الكثير من الأحداث والشخصيات العراقية التي لعبت ادوار وتركت بصماتها على سجل الزمن العراقي من قادة احزاب ووزراء وكتاب ومفكرين ، وكنت قد زرته مرات عديدة في بيته العامر في منطقة حي العدل ببغداد برفقة السيد عمار الزهاوي فحيد الأستاذ حسين جميل ، الشخصية الوطنية المعروفة ، سكرتير الحزب الوطني الديمقراطي والزيرة الاخيرة له كانت برفقة الأستاذ صلاح عبد الوهاب من الحزب الوطني الديمقراطي .

ومن الأشياء التي قد لا يعرفها الكثير عن الأستاذ النعمان أنه كان من الشخصيات التي اعتمد عليها وبشكل كبير في دراسته المهمة عن العراق والتي نقاها مراراً وتكراراً حنا بطاطو صاحب أبرز دراسة مرجعية صدرت عن العراق

أعلام العراق ليسوا كأعلام غيره من البلدان والدول وخاصة رموز الحركة الوطنية العراقية الذين إذا نظرنا إليهم وإلى تاريخهم النضالي بعيداً عن التحيز والحزبية والطائفية والقومية سوف نخرج بمعلومة مهمة جداً وهي أننا قد لانصدق أنفسنا ولا يصدقنا الغير ، لظهور بل وجود هكذا أناس بلغوا ما بلغوا في التضحية والصبر والإيثار ونكران الذات والتحمل والابداع في خلق متطلبات العمل النضالي في تلك الايام لاجل ان يصل العراق إلى مصاف الدول المتقدمة التي يشار إليها في تلك الاعوام . وقد كنت دائماً أثناء استذكار مراحل من تاريخ العراق في العهد الملكي والجمهوري أستشهد بأقوال الأعلام الذين كانوا مازالوا يعيشون بيننا من رموز الحركة الوطنية الذين عاصروا هذه الأحداث مسجلاً بعض أرائهم التي كما أتصور لها أهمية كبيرة في تفسير تلك الأحداث كونها لم تكن انطباعاً أنياً خضع لضغوط تلك المرحلة وتداعياتها وتأثيراتها الايديولوجية ، فهذه الأراء والانطباعات كانت في الكثير منها مغايرة لما هو مسجل ومتداول ، كونها جاءت بعد وضوح الصور وتكاملها ومعرفة أغلب الجوانب التي قد أحاطت وأدت إلى حدوث ما حدث وتفسير كل طرف مشارك فيها ، وأعلام العراق في هذا المجال هم ليسوا كأعلام باقي الدول والبلدان . وفي السنوات الأخيرة رحلوا عنا الواحد بعد الآخر ، دون ان نحس بهم ونكلف أنفسنا مشقة السؤال وتسجيل كل تلك الملاحظات والانطباعات والإراء التي تكونت لدى هؤلاء الأفاضل من التجربة المريرة والممارسة العسيرة لتكون الضوء

المنير لكل من أراد المسير في هذا المشوار ، ولصاحب كل قرار . ومن الشخصيات التي أسعدت كثيراً عندما التقيت بها الأستاذ مرحوم سالم عبيد النعمان الذي كنت قد سمعت به أول مرة واثار اهتمامي ما ورد في الحديث عنه من كلام ، أثناء زيارتي للدكتور كمال مظهر أحمد في مكتبه في كلية الآداب / قسم التاريخ - جامعة بغداد في تسعينات القرن الماضي عند حديثه عن الرموز الأحياء من الحركة الوطنية ، ان كان حينها الدكتور عادل تقي البلداوي يعمل على رسالة الماجستير عن الحزب الوطني الديمقراطي وشاءت الصدفة ان جاء بعد ذلك إلى شارع المتنبي يبحث عن كتب فالتقيته أول مرة وجها لوجه ، وقد انبهرت بما كان يحمل من خلق وثقافة ومعلومات وأطلاع وتحليلات علمية واقعية وأراء جريئة عن الكثير من الأحداث والشخصيات العراقية التي لعبت ادوار وتركت بصماتها على سجل الزمن العراقي من قادة احزاب ووزراء وكتاب ومفكرين ، وكنت قد زرته مرات عديدة في بيته العامر في منطقة حي العدل ببغداد برفقة السيد عمار الزهاوي فحيد الأستاذ حسين جميل ، الشخصية الوطنية المعروفة ، سكرتير الحزب الوطني الديمقراطي والزيرة الاخيرة له كانت برفقة الأستاذ صلاح عبد الوهاب من الحزب الوطني الديمقراطي .

ومن الأشياء التي قد لا يعرفها الكثير عن الأستاذ النعمان أنه كان من الشخصيات التي اعتمد عليها وبشكل كبير في دراسته المهمة عن العراق والتي نقاها مراراً وتكراراً حنا بطاطو صاحب أبرز دراسة مرجعية صدرت عن العراق



النعمان مع كاتب المقال

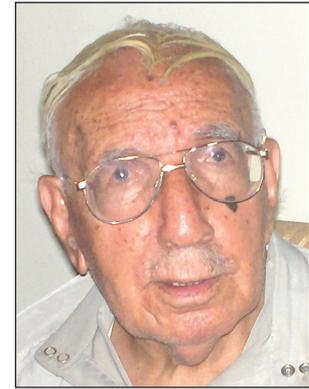
ألقاه يوم ٢٧ كانون الاول عام ١٩٤٥ م ، ومر شهر بطوله بعد ذلك دون ظهور أي علامة تغيير واحتجت الطبقات الراسخة المسيطرة مباشرة على جهاز الدولة خشية تراجع نفوذها وتزايد الشعور في الدوائر الشعبية بأنه ما من تنازلات حقيقية أتية فعلاً [هذا ما أكده العديد من قادة الاحزاب في تلك الفترة في عام ١٩٥٧ م لبطاطو في محاورات أجريت مع كل من كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل من الحزب الوطني الديموقراطي ومحمد مهدي كبة وصديق شنشل وفائق السامرائي من حزب الاستقلال وعزيز شريف من حزب الشعب وسالم عبيد النعمان من حزب التحرر الوطني إضافة لملفات الشرطة السرية ومقابلة أجريت مع رئيس الوزراء الاسبق توفيق السويدي في عام ١٩٦٥ م وكذلك الوثائق التي نشرها السيد عبد الرزاق الحسيني في المجلد السادس والسابع من كتاب تاريخ الوزارات العراقية .

وبعد أن سقطت حكومة الباجه جي في ٣١ كانون الثاني عام ١٩٤٦ م وعهد إلى توفيق السويدي بتشكيل الوزارة الجديدة في ٢٣ شباط عام ١٩٤٦ م والتي استمرت ثلاثة أشهر كانت غنية بالاحداث المهمة ففي ٢ آذار ألغيت الحكام العرفية وانتهت مراقبة الصحافة وأغلق معسكر الاعتقال العراقي الوحيد ، وفي ٢ نيسان منحت خمسة احزاب سياسية رخصاً لمزاولة نشاطها وهي حزب الاستقلال / عروبي ، وحزب الاحرار / الوسطي ، والحزب الوطني الديموقراطي / من يسار الوسط ، وحزب الاتحاد الوطني / اليساري ، وحزب الشعب / المتأثر بالشيوعية ، والأمر المثير للاهتمام كما يذكر بطاطو أن جميع قادة هذه الاحزاب يأتون بشكل أساسي من الطبقة الوسطى .

لهذا في ظل هذه الظروف الجديدة لم يعد لتكتيك النضال الثوري الذي تبناه الحزب الشيوعي في ك/٢ ، أي معنى ولهذا وضعه فهد على الرف وعلى العموم ورغم كل التطورات التي أحدثتها الحكومة الجديدة ، لم يكن لفهد رأي شديد الايجابية بحكومة السويدي ورفض منحها دعمه وبقي على حذر لان حزب التحرر الوطني وهو الحزب الاحتياطي المساعد للحزب الشيوعي لم يحصل على الرخصة الرسمية كما يذكر سكرتير حزب التحرر الوطني الاستاذ سالم عبيد النعمان لبطاطو في حديث [وللمزيد راجع ص ١٨٩ من الجزء الثاني] ولكن حرية العمل منحت لذلك التنظيم عملياً كما منح الاعتراف الكامل لجبهة شيوعية أخرى في [عصابة مكافحة الصهيونية] مما قلل من أهمية معارضة فهد .

وبعد سقوط حكومة السويدي الغيت الحريات ولم تلغ الاحزاب رسمياً ولكن كبات أيديها وكمت افواه صحفها وقمعت كما لم يحصل في أي بلدان أخرى في ظروف مماثلة ، وكانت يد حكومة العمري بحق ثقيلة على الحزب الشيوعي وقبل ثلاثة أسابيع من استقالة هذه الحكومة وبعد اقرار الحزب منذ البداية التوجه للعمل المباشر وفي ٢٨ حزيران عام ١٩٤٦ م نظمت [عصابة مكافحة الصهيونية] مظاهرة في بغداد شاركها فيها الحزب الريدف الحزب التحرر الوطني ، وسار فيها ثلاثة ألف عامل وطالب من الرصافة إلى الكرخ واقتربهم من السفارة البريطانية ، أنقض رجال الشرطة عليهم ولما فشلوا في تفريقهم بواسطة الهراوات أطلقوا النار عليهم

من مسافة قريبة وقتل متظاهر واحد هو شاول طويق عضو الحزب الشيوعي وجرح أربعة ، وأصبح هذا الحدث تاريخياً بداية العاصفة التي وصلت ذروتها في الوثيقة عام ١٩٤٨ م ، وكانت هذه المرة الاولى في تاريخ الحكومات الملكية التي تطلق الشرطة فيها النار على المتظاهرين وقد أثار هذا الموضوع انتقاداً قاسياً من قبل كل احزاب المعارضة ولكن الفترة بما فيها الاحزاب اليمينية ولكن سرعان ما غطت (مجزرة كورباغي) على ما حصل يوم ٢٨ حزيران في بغداد ، فقد أصُرب في ٣ تموز من نفس السنة حوالي خمسة الاف عامل من شركة النفط العراقية في كركوك بسبب النضخم وانخفاض الاجور وخنق النقابات كل هذه الامور مهدت لمبادرة الحزب الشيوعي في هذا الاضراب وطوال مدة الثمانية ايام كانت يد الحزب الموجهة واضحة في كل مكان ولما بلغ الاضراب ذروته يوم ١٢ تموز ، أطلق رجال الشرطة في محاولة منهم لتشتيت الاجتماعات وابلا من الرصاص على العمال ، وقتلوا ما لا يقل عن عشرة منهم وجرحوا سبعة وعشرين ، وكان هذا الهجوم الوحشي قد اثبت الطرح الشيوعي القائل ان حكومة العمري كانت حارساً لشركات النفط وليس للعمال مما زاد من العمال الذين أخذوا ينظرون للشيوعيين على أنهم أصدقائهم الحقيقيون واجتاحت البلاد نقمة في أعقاب زيادة القوات البريطانية في الشعبية وهي حركة أعلن انها موجهة ضد اضراب تود هلد الذي أعلن في حقول عبادان يوم ٢٦ تموز ، ولم يكن باستطاعة الحكومة ان ترد الا بالقمع ، ولكن القمع لم يفعل شيئاً على المدى الطويل ولم يروع



عندما وضعت كل هذه التساؤلات أمام الأستاذ النعمان ذكر لي أنه شخصياً جاءه بطاطو ووجه له أسئلة وقد أمتنع في البداية عن الإجابة عليها حرصاً على سلامته وحتى لا يضع نفسه موضع التهم، ولكن فيما بعد اتصلت به إحدى الجهات الأمنية الحكومية وطلبت منه الإجابة على كل الأسئلة بكل حرية وصراحة ، وان يقدم كل ما لديه من معلومات ، وان يساعد بطاطو ، وأضاف بعدما تبينت أنه فعلاً يقوم بكتابة دراسة وأنه سوف ينشرها في أمريكا ولعلمي وتأكد من صدق مسعي الرجل ، تعاونت معه .

في حينه حتى المعارضة ولم ينل من ارادتها ولم يفعل غير تعميق الفجوة بين الحكومة والشعب ولم يكن امام حكومة العمري غير الاستقالة في ١٦ تشرين الثاني وكما لم يحصل كثيراً في اللحظات الصعبة عاد رئيس الوزراء نوري السعيد إلى المسرح السياسي وإذا كان العمري يوجه ضرباته بشكل مكشوف فان السعيد كان يسير إلى أهدافه بالتواء ونادراً ما كان يفعل ما يبدو انه يفعله فقد كان عمله الأول كرئيس للوزراء مميزاً فقد وعد بإجراء انتخابات حرة واطلاق الحريات السياسية وأغرى الاحرار والوطنيين الديمقراطيين بالانضمام إلى حكومته ، ولم تكن أي نية لنوري السعيد بفتح صفحة جديدة والوفاء بوعوده بل أنه استفاد من تعاون الوطنيين الديمقراطيين لمجرد استغلاله لمصلحته بشكل سيئ ، وكان تأثير ذلك على الاحزاب الثلاث الأخرى هو ما اراده نوري السعيد تماماً فقد نسي هؤلاء مؤقناً شجارهم مع النظام ووجهوا غضبهم ضد حلفائهم السابقين وكان حزب الشعب أقل بروزاً في ذلك من الحزبين الآخرين ، وكان انتقاد فهد لهم بانهم أرتكبوا خطأ ، واعتقد ان الهجمات الادعة على زعيم الحزب الوطني الديموقراطي كامل الجادرجي كانت غير مناسبة وليس لها الا ان تؤدي إلى دفعه إلى أحضان نوري السعيد ، وفي أواخر تشرين الثاني أرسل رسالة بهذا المعنى بواسطة سالم عبيد النعمان إلى عبد الفتاح إبراهيم من حزب الاتحاد الوطني وعزيز شريف من حزب الشعب مؤكداً لهم بان الجادرجي قد انعطف يمينياً [ولابد من تعريته] .

وفي ٥ / كانون الأول وجه فهد نداءً خاص إلى كامل الجادرجي نفسه باسم حزب التحرر الوطني قال : [نهلنا في البداية للأشتراك حرككم في حكومة نوري السعيد ... لمعرفتنا بعمق الهوة التي تفصلكم عن جماعة من الناس عملت طوال حياتها السياسية على تعزيز المشاريع الاستعمارية ولكن بياناتكم العامة منذذقت الضوء على دوافعكم ... وعلى العموم فان قناعتنا هي ان نوري السعيد لا ينوي شيئاً أكثر من تجميع مجلس النواب باكثريه رجعية ومن ثم تشكيل وزارة تجدد المعاهدة مع بريطانيا ، ولهذا نقترح عليكم إعادة النظر في مسألة تعاونكم مع هذه الحكومة ... انكم لا تفعلون أكثر من منحها . في أعين الشعب والرأي العام العالمي . صفات ديمقراطية هي منها براء كلياً ... وكلما طال اشتراككم فيها ... سهل عليها أنجاز أغراضها الحقيقية [للمزيد راجع ص ١٩٣ من نفس الكتاب] .

والإشارة الأخرى للأستاذ النعمان كانت موضوع في موضوع خيانة العضو المرشح السابق للجنة المركزية عبد الوهاب عبد الرزاق وتحويله إلى مخبر وافتشائه للسلطات عنوان مقر الحزب في منطقة الهيتاويين ببغداد وكان من تداعياتها اعدام ابرز قادة الحزب الشيوعي . ففي يوم ٩ تشرين الاول عام ١٩٤٨ م وبعد ثلاثة ايام هاجم رجال الشرطة المنزل واعتقلوا المسؤول الاول مالك سيف وسلفه يهوذا صديق وعضو اللجنة المركزية جاسم حمودي وعدد من الثوريين الآخرين فبدأ الحزب الشيوعي وكأنه يتحول إلى رماد فقد تمزق الحزب واعتقل أفضل منظليه ومحرضيه وزج بهم في السجون واكتشفت المئات من نوى الطلاب والعمال الشيوعيين ودمرت

وحطمت الخلايا المعاد تشكيلها سريعاً حتى قبل ان تثبت ، واكتشفت المطبعة السرية وصودرت اكوام من المراسلات بالشفرة واكتشفت كل الاسرار . وساد شعور بالتفكك بين ما تبقى من الشيوعيين وغادر بعضهم البلاد وتردد بعضهم الآخر فيما يهدف اليه وفقد البعض الثالث اعصابه وهجر الحزب وتحدث كثيرون عن الحزب كما لو كان شيئاً من الماضي .

ولكن لماذا اختار عبد الرزاق طريق الخيانة مع ان عائلته قدمت في الماضي خدمات لا تقدر بثمن للشيوعيين ؟ هذا ما لا يمكن قوله دون الوقوع في الخطأ وهناك رأي يقول أنه كان يحمل في نفسه ضغينة ضد الحزب لان حسين محمد الشبيبي عضو المكتب السياسي عام ١٩٤٦ م كان قد أقام صداقة في تلك الأيام مع شقيقة عبد الرزاق ولكنه رفض الزواج بها ، وكان فهد الذي استنكف عن كل علاقة حميمية مع الجنس الآخر لاسباب مبدئية وأمنية قد أوقف الشبيبي عن ممارسة وظائفه كافة ولكن هذا لم يرضي عبد الرزاق تماماً على ما يبدو في حين يؤكد الاستاذ سالم عبيد النعمان [انه كان محطماً يومها ومعنوياته في الحضيض وانه تعب من العيش في الجحور والمخابئ] ويؤكد بطاطو ان من الواضح ان أياً من التفسيرين لدوافع عبد الرزاق لا يناقض التفسير الآخر ، وكان من أهم ما تمخضت عنه هذه الخيانة هو اعتراف صديق يهوذا بعد انهيار وكشف ان المسؤول هو مالك سيف ولما وجه سيف بهذا الكشف تخلت عنه شجاعته كلياً وقدم اعترافاً كاملاً وزود الشرطة بكل الادلة التي كانت تحتاج اليها ضد الحزب وكانت ردة مالك سيف نقطة البداية لبحث دقيق وواسع النطاق أوقع في شبكته مئات الشيوعيين كما أنها ادت إلى إعادة محاكمة الزعماء الرئيسيين بمحاكمة عاجلة في ١٠ شباط عام ١٩٤٩ م أحضر فهد وعضوان من مكتبه السياسي هما زكي بسيم وحسين محمد الشبيبي أمام محكمة عسكرية شبه ميدانية ووجهت إلى الثلاثة تهمة قيادة الحزب من داخل السجن ، وحكم عليهم بالاعدام شنقاً حتى الموت ونفذت الاحكام فجر يومي ١٤ و ١٥ شباط وشنق الزعماء الثلاثة في ساحات مختلفة من مدينة بغداد الشبيبي عند باب المعظم ونسيم عند الباب الشرقي وفهد في فسحة الكرخ التي تسمى اليوم ساحة المتحف وبقيت أجسادهم معلقة ساعات عديدة من النهار لكي يتلقى الناس الانذار أثناء نهبهم إلى أعمالهم .

ومن الأشياء الأخرى المهمة التي نكرها لنا الاستاذ النعمان تأكيده رفض فهد بيان باريس الصادر في ١١ حزيران عام ١٩٤٨ م والذي واجه انتقادات واحتجاجات في قاعدة الحزب عندما وصل البيان إلى سجن الكوت وبدأ أحد أعضاء تنظيم السجن الشيوعي بقراءته بصوت مرتفع في قاووش السجن أمر فهد بالكف عن ذلك بعد سماعه فقرات قليلة منه وفي النهاية تم رفض البيان في تأكيد للتقرير الصادر في أيلول عام ١٩٥٦ م [ان بعض العناصر المشكوك بها نجحت في عام ١٩٤٨ م من ان تدس في صفوف حزبنا وحركتنا مفاهيم خاطئة بالنسبة للصهيونية ... ومن بينها الافكار التي وجدت تعبيرها في بيان عنوانه (ضوء على القضية الفلسطينية) للمزيد راجع ص ٢٦٠ من الجزء الثاني من كتاب بطاطو] .

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخري كريم

نائب رئيس التحرير

عدنان حسين

مدير التحرير: علي حسين

الإخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

الاستاذ سالم عبيد النعمان وداعاً

د. ابراهيم خليل العلاف

توفي الاربعاء ٢٢ شباط ٢٠١٢ وفي احد مستشفيات اربيل حيث كان يعالج من مرض ألم به الاديب والكاتب والقاضي الاستاذ سالم عبيد النعمان. والقاضي النعمان معروف الاوساط القضائية والسياسية والثقافية العراقية والعربية بكتاباته المتميزة. تخرج في كلية الحقوق بجامعة بغداد واسهم منذ بواكير شبابه في الحركة الوطنية العراقية وكان على صلة وثيقة بالمناضل والسياسي جعفر ابو التمن وقد انتمى الى جماعة الاهالي في الثلاثينات من القرن الماضي وصار مديرا مسؤولاً عن جريدة الاهالي. يعد القاضي النعمان من ابرز الرجال العراقيين المؤمنين بحركة التقدم والحرية. وقد كان عضواً في المجلس العراقي للسلام والتضامن. التمس من الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة عدم تنفيذ حكم الاعدام سنة ١٩٥٩ بالشهيد رفعت الحاج سري وصحبه فوعده بذلك ولكنه عاد فأعدمهم وتآلم الاستاذ النعمان لذلك وكان هذا من مواقف المشهوده. كتب مجموعة كبيرة من الدراسات والبحوث والمقالات في موضوعات مختلفة منها عن فلسفة التشريع والوصية الواجبة وألف كتباً منها كتابه: « نصف قرن من تاريخ وطن » وكتابيه « الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فهد ». ينشر بفشل مشروع بريمر القائم على فكرة المحاصصة. كان وطنياً تقدمياً فأستحق من الذكر والتقدير. رحم الله القاضي والسياسي والمفكر سالم عبيد النعمان.



عراقيون
من زمن التوهج

